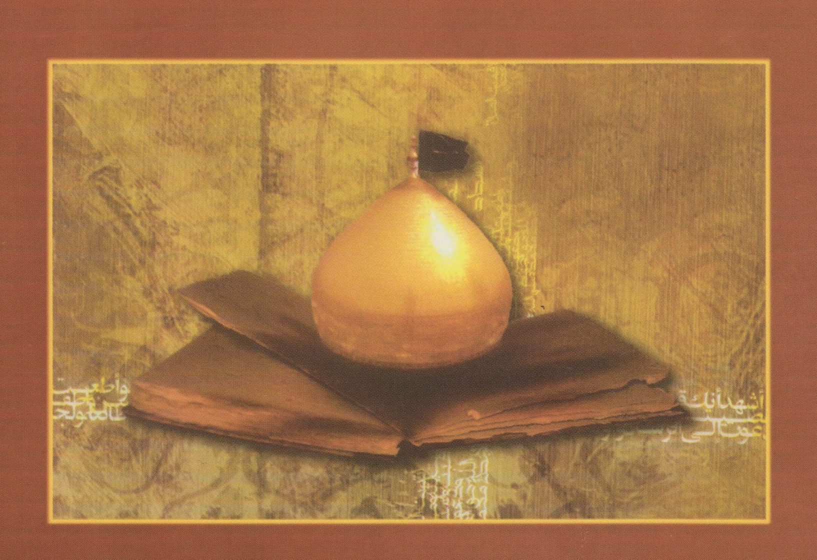
رسالة عاشوراء

بين أهمية الدعوة ولغة الخطاب



الشيخ حبيب الخباز

دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

رسالة عاشوراء

بين أهمية الدعوة ولغة الخطاب

رسالة عاشوراء

بين أهمية الدعوة ولغة الخطاب

الشيخ حبيب الخباز

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



إهـــداء

أهدي هذه السطور إلى سيدي ومـولاي الحسـين الشـهيد عليه السلام وأصحابـه وفاء لهم، عسـى أن يتقبل اللـه ذلـك، وأسـأل اللـه أن أحظـى بشفاعتهم يوم القيامة.

تمهيد

العدالة الإنسانية

من الصعب أن يتفهم العالم ما جرى على الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وبالكيفية التي وقعت وكانت عليها، إلا إذا وضعت في مسارها الصحيح، والتي تتمثل في قضايا الإنسان العادلة، وهي التي تهتم وتتطلع إليها شعوب العالم في هذا العصر، وتسعى لتحقيقها بكل السبل المشروعة، وتتجلى هذه القضايا في:

١ - الاهتمام والتأكيد على حرية المعتقد والتعبير عنه.

٢ - حفظ الكرامة الإنسانية في الحياة والعيش.

٣ - السعي نحو تحقيق مقومات المجتمع المدني مثل الشورى والمساواة وتوزيع الثروة.

وقد جسد الحسين عليه السلام من خلال نهضته عن تلك المظلومية الإنسانية، في مقاومة الظلم والاستبداد الأموي، الذي استحل كل شيء فلم يراع كرامة للإنسان، وقدسية للدين،

والمعتقـدات، ولـم يصن المحرمـات، ونهب ثـروات ومقدرات الأمة، وبذلك يسـتحق اللعنة الأبدية. ليكون عبرة أمام التاريخ إلا وتجربة الشعوب ومسيرة الحضارات.

فإذا كان الحسين عليه السلام يمثل رمزا للكرامة الإنسانية ومبادئها الحقة وأهدافها المشـروعة فان يزيد وأعوانه يمثلون بشاعة الظلم وغوغائيـة الحياة ومآربهـا المنحرفة والشـيطانية، والدرس المهم فـي المعركة والصراع هو انتصـار المظلوم على الظالم والدم على السـيف والفضيلة على الرذيلة والحـق على الباطل، وهذا الصراع مـا زال ولـن ينتهـي، ما دام الإنسـان على وجه الأرض، فهي سـنة الحيـاة التي أرادها الله من أجـل الامتحان والابتلاء، مهما تغيرت الوسائل وامتد الزمن واختلفت الظروف.

فـان الحسـين عليه السلام بذلك يمثـل خطا في عمق هـذا الزمن الضـارب، وكذلك يزيـد، والمطلوب في هـذه التجربة والصراع، هو الأخذ بأسـباب الانتصار من العزيمة والثبات، والتعبير عن كل ذلـك بالدفاع عن المظلوميـة وعن الحقوق المسـلوبة والأهداف المشـروعة، مهما كانت هناك من تحديـات وصعوبات وعراقيل، لأنهـا لا تعـدو مجرد سـراب، أو بالـون في الهـواء كلمـا نفخ فيه تضخم وهو ما يشـعر بزواله وانفجاره. ولكـن الخطوة الأولى في زوال الظلم هو في المطالبة والوقوف في وجه كل اعتداء.

إن أهم مكتسـبات هذه النهضة الحسينية للعالم اليوم هو في

حضورها واستمرارها كي تسجل للإنسان والعالم أهم الدروس والعبر من التاريخ ومن مسيرة الشعوب وإرادة الإنسان، وهو ما ينبغي أن يعمم وينتشر ويصبح من أهم المحطات والوقفات الإنسانية والعالمية، وتسجل في الذاكرة كشاهد على العصر وكل العصور، لأنها نهضة مباركة وإلهية لا يمكن ولن تمحى.

وإن الوسيلة المهمة اليوم لإبراز هذه النهضة لترسيخ هذه العدالة وبما تخدم قضايا الإنسانية هو الاهتمام بالإعلام ووسائله المتعددة، فهو من أهم عوامل التأثير والتوجيه والانفتاح على العالم.

مقدمة

الثقافة الحسينية

تعتبر الثقافة من أهم ركائز الوعي والنضج عند الإنسان، كما أنها تشكل العصب الحيوي في الحياة اليومية، فهي التي تحدد المسار والرؤية من الأحداث والمواقف.

وهي أيضا الجسر الذي يربط بين معتقدات وقناعات الإنسان الدينية والأيدلوجية وبين أهدافه وتطلعاته ومصيره، وبدون الثقافة يصبح هناك فجوة وطلاق بين البعدين، وهذه هي المشكلة الحضارية التي يقع فيها الإنسان وتنفك وتنفصل عنها الشعوب، ونتيجة لذلك هو ما نراه من شل وجمود حركة الإنسان والمجتمعات بعدم المطالبة بحقوقها والدفاع عنها، خصوصا تلك المبادئ المسلم بها والبديهية مثل حرية الإنسان والمساواة والعدالة وحق تقرير المصير.

إذا الثقافة السليمة هو أساس الفهم والقدرة على التحليل

والعبـور مـن الماضي، ومـا هو كائن فـي الحاضر، ومـا يمكن أن يحدث في المسـتقبل، وهذا هو دور الثقافة الإسلامية التي تحاول أن تقـدم أحداث التاريخ بصور مثالية ومشـرقة بعيدة عن الضبابية والميولات والعصبيات.

والنهضة الحسينية هو نموذج لأهم المعارك والصراع الدائر بيـن الحـق والباطل وبيـن الخير والشـر بين الظلـم والعدل. ومن أجـل تبلور هذه القضية العادلة والتي تمس حياة الإنسـان بشـكل مباشـر وفي العصر الحديث لا بد من تشـكيل رؤية حضارية نقف مـن خلالها على أهـم الأبعاد والزوايـا التي تدفع الإنسـان وتعزز مـن قدرته على التقـدم والمضيء إلى تحقيق أهدافه كما رسـمتها تلك النهضة العادلة. ودور الثقافة هو تحقيق ما يمكن اسـتخلاصه مـن أحـداث ووقائـع التاريخ في رسـم صورة الواقع واستشـراف المستقبل.

والنهضة الحسينية من أهم الأحداث التاريخية والتي تحاول هـذه الثقافة أن ترصد أهم جوانبها والتعبير عنها بما يخدم مصلحة الإنسان وقضايا الأمة وعبر الوسائل الناجعة ومن أهمها:

١ - الاهتمام بالإعلام ووسائله المتعددة.

٢- تفعيل دور الإنسان وبناء المؤسسات المدنية.

٣- بناء كيان الأمة ووحدتها.

فالإعـلام اليـوم وفي هذا العصر يشـكل أهم وسـائل التأثير

على الإنسان بما يقدمه ويتبناه، وما يحدثه من إيقاع في الصوت والصورة وإيحاءات. وان القدرة على تسخير هذا الإعلام للمساهمة بالاهتمام بالقضايا الإنسانية والاجتماعية يعتبر نقله حضارية، بدل أن تتحول إلى وسيلة هدامة ومدمرة، وهذا يتطلب تقديم الكفاءات والقادرة والواعية على تحقيق هذه النقلة وليس مجرد الحضور والتواجد، ومشكلتنا اليوم وأمام العالم المتحضر هو الشعور بالعجز أو النقص في إعداد هذه الطاقم في مقابل الإعلام الفاسد والمضلل.

إما عن تفعيل الطاقات فهو الجانب الأهم وهو القدرة على الاستفادة من معطيات الأحداث والتجارب المختلفة التاريخية والحاضرة، فلا يمكن الاكتفاء أمام هذه النهضة بالحماس والانفعال والعاطفة والشعارات المؤثرة بل لا بد أن تتحول إلى وقود وذخيرة في حركة الإنسان ودور المجتمع، واستغلال كل جوانبها المضيئة.

إن التفاعل الإيجابي مع هذه النهضة هو في تبني تلك المشاريع التي تبني الإنسان ومن خلال تلك المؤسسات والمراكز التي تستقطب الناس وتوجههم نحو دينهم ومصالحهم الحيوية وتقلل من تأثيرات الواقع السلبي بما يحمل من مضامين وتأثيرات خطيرة مثل الفراغ والبطالة المتفشية أو الظلم والتميز والتهميش.

إن إحياء مثل هذه المؤسسات التي تأخذ بيد الإنسان هو

الطريق الأسلم والناجع في عالم اليوم، التي يركز فيه على الاهتمام بناء الأوطان والمدنيات والاستغلال الأمثل للثروات.

أما عن الجانب الثالث بناء وحدة وكيان الأمة فهو هدف استراتيجي أصيل، فلا يمكن تحقيق تلك الأبعاد إلا من خلال التركيز على هوية الأمة الضائعة والمسلوبة والسعي نحو إزالة كل المعوقات والعراقيل أمامها.

لقد عمل أعداء الأمة وعبر التاريخ إلى عصرنا الحاضر من تقييد دورها وتشويه صورتها، والأسوأ هو ما قاموا به من تفكيك وتفتيت لكيانها وتمزيق لوحدتها فأصبحت كنتونات وأجزاء وأفراد، وسعوا لترسيخ الشعور بعدم الرابطة بين الشعوب وأبناء الأمة. فأصبحت أمة ضعيفة فكان من السهل السيطرة عليها وعلى مقدراتها. واستخدمت كل وسائل التأثير في ذلك السياسية والإعلامية والثقافية، وبذلك تحقق الهدف وهو عزل الأمة عن دورها.

ودور الثقافة الإسلامية على مستوى هذا الهدف الاستراتيجي هو:

١- إعادة صياغة المفاهيم الوحدوية وتقوية الكيان.
٢- المبادرة في طرح المشاريع الإسلامية على المستوى العالمي.
٣- الاهتمام بالثقافة الإسلامية الشاملة للبناء والتقليل من تأثيرات الواقع السلبي وسياساته.

٤- إيجاد محاور استقطاب لكل الطاقات والإمكانات عند أبناء الأمة لتحقيق أهداف هذا المشروع.

٥- تقديم الدراسات التي تهتم وتكشف عن ما أصاب الأمة من أمراض وعيوب مختلفة والتي ترتبط مصير ومسار الأمة للوقوف عند الحقائق والاستفادة منها.

٦- الاهتمام بدور التواصل والتقارب بين أبناء الأمة وعلى مختلف الصعد والمستويات.

٧- الاهتمام بالدعوة والخطاب المعتدل الذي يعزز هذا التواصل ويبرز تلك المفاهيم ويسهل تطبيقها.

٨- تقديم فرص البناء والتعاون والتبادل في الإمكانات والقدرات وتسخير ذلك بما يخدم المشروع الحضاري.

٩- الاستفادة من معطيات العصر من الوسائل والتقدم للمساهمة في تقليص كل التأثيرات السلبية وتجاوز العقبات وتذليل الصعوبات وتعزيز القدرات التي تساعد على تحقيق البنية الصحيحة في العلاقة والبناء.

خلاصة: إن إعداد الأمة لدورها الريادي يأتي في الأوليات في القضايا الإسلامية، وهذا ليس أمرا خافيا، بل هو يتصدر أهم المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وان التهاون في هذا الأمر وتحت مبررات ومنطلقات ضيقة يعتبر انحراف في الرؤية، وضيق في الأفق، وتجني على المبادئ الخلاقة، والقيم البناءة للدين.

فالاهتمام بهذا البعد الحضاري ليس أمرا اختياريا أو تكتيكيا بـل هو هدف مـن أهداف الإسـلام، وان السـعي لتحقيق ذلك هو أمـر واجب، والحكمة في ذلـك ينصب حول الاهتمام بالوسـائل والسـبل الكفيلة في ترسـيخ هذا المبدأ وتلـك الصياغة وإزالة كل المعوقات أمامها، وليس مجرد الشـعار والكلام والإيمان المجرد من الواقع. يقول تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1]، ويقول: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2].

فالصبغـة الحضاريـة هـو في مـدى الالتـزام بهـذا المفهوم وترسـيخه عبر الواقـع والأجيال ومن منطلق الأهداف الإسـلامية الأصيلة، كما إن الإشارة إلى التقوى في الآية الثانية ربما يدل على التحذيـر من التهاون أو العبـث أو الانحراف عن هذه الجادة. لأنه يشـوه صورة الأمة ومسـارها نحـو البناء والتكامـل والعروج نحو الله سـبحانه، ولا ننسـى أن الشـعار الصادق الذي تمثـل به الإمام الحسـين عليه السلام فـي نهضتـه هو إصـلاح هذه الأمـة، ليكـون مبدأً ومعلما لا يغيب.

---

(١) الأنبياء ٩٢.

(٢) المؤمنون ٥٢.

الفصل الأول

رسالة عاشوراء

فـي كل إطلالـة عـام جديـد، تطـل علينا مناسـبة عاشـوراء بأجوائهـا الروحيـة، خصوصا عند أتباع مذهـب أهل البيت عليهم السلام (الشـيعة)، وكان يفترض أن تكون هذه المنسـبة عالمية، لأنها تعبر عن مأسـاة إنسـانية وكارثـة حضارية وهي تمثل قمة المأسـاة على امتداد التاريخ وليس لها نظير[١].

والسـؤال فـي هـذا الصدد لمـاذا لا يتفاعـل العالـم مع هذا الحدث؟

(١) روى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوما على الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي مما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتي إلي سم يدس إلي فاقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون انهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينتحلون الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمائك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها يحل ببني أمية اللعنة وتمطر السماء رمادا ودما ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار. إحقاق الحق للتستري ج ١١ (ص) ١٨٢.

للأسـف نجد العالم يبرز من دور الأحداث والمآسي العالمية، بغيـة عـدم تكرارهـا وتجنب أسـبابها، فهي تحتـل نصيبا مـن الذاكرة الإنسانية، والأمثلة كثيرة منها الحروب العالمية الأولى والثانية، وقنبلة هيروشـيما ونازاكي المدينتين اليابانيتين، وتمثال الجندي المجهول، أو اغتيـال الشـخصيات السياسـية والروحيـة مثل الرئيـس الأمريكي (كندي) وغيرهم، فنجـد العالـم وعبر الإعلام المختلف كيف يتفاعل ويتمنى لو يمسحها من ذاكرته الفعلية بعدم تكرار مثل هذه الأحداث؟ خصوصـا عند تلك الأمم التي وقعت فيه الأحداث وتمسـهم بشـكل مباشـر. إذا لمـاذا لا يكون هذا الاهتمام والتركيـز على بقيه الأحداث والمآسـي التاريخية، مثل مأساة كربلاء، فهو حدث يفرض نفسه على مـر التاريـخ والزمان، وله جـذور وعمـق يتصل بالإنسـان وحضارته والديـن والمبـادئ والقيـم التـي يحتاجها النـاس فـي كل العالم مثل الحريـة والعدالـة والمسـاواة ومحاربة الظلم والفسـاد، فلا نجد ذلك التفاعل والاهتمام حتى في حياة الأمة والمسلمين وعرب؟

والجـواب هنـاك عوامل وأسـباب مختلفة منهـا موضوعية وأخرى مقصودة، نذكر أهمها:

أولا - تعمد التضليل والتجاهل والتغطية للحدث:

فبالرغم انه مأساة إنسانية بالدرجة الأولى، لكنه جير من قبل الحكومات عبر التاريخ، وتقصدوا تحديده وتضييقه ليصبح مأساة طائفيـة ومذهبية، بل تعمدوا تشـويه منطلقاته وأهدافه، وزعموا أن اهتمام الشـيعة بهذه المأسـاة لا تعدوا كسـب عواطـف الناس من

أجل الانقلاب على الحكومات والوصول إلى الحكم، وتحقيق مصالحهم الطائفية. ولذلك سعت هذه الحكومات لإيجاد ثقافة مضادة تتوشح لباس الدين، من خلال تبني تلك التيارات والمذاهب التي نشأت في ظل تلك الحكومات وخضعت إلى تأثيراتها بكل الوسائل بالقمع والاستبداد وشراء الضمائر بالأموال، وقامت بدورها في تكريس أهداف هذه الحكومات وثقافتها المضادة، وتقديم تلك الصورة المشوهة للعالم.

إذا لولا هذه السياسات لما كان هناك من يقلل من هذه المأساة، خصوصا إن هوية النهضة وأصحابها ومطالبها كانت واضحة، ويكفي إن قائد هذه الثورة هو الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وجده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا النسب والقرابة لا يجهلها أحد ولا تحتاج إلى إثبات.

ونتيجة لذلك نجد أن المذاهب الرسمية (أي التي تخضع بشكل كامل إلى إدارة وسياسة النظام الحاكم) تتخذ نفس المواقف السلبية من الحدث عبر وسائلها المختلفة الرسمية والخاصة في تحجيم صور المأساة وإعطائها بعد طائفيا وهامشيا. وعزلها عن بعدها الجماهيري.

ثانيا - الشيعة وعدم تقديم الصورة الحضارية

فبدل أن تتحول هذه المأساة الإنسانية إلى ذخيرة حية تخدم تلك الأهداف والمصالح العليا للأمة والعالم، اكتفى

الشـيعة أنفسـهم في كثير من الحقـب التاريخية باجتـرار الأحزان وتأكيـد المظلوميـة دون التفكيـر والسـعي نحو التأكيـد على تلك الأهـداف وتفعيلهـا بالطرق الممكنة والوسـائل والفرص المتاحة وعبـر قوالـب متجددة، فـي التعريف بهـذه النهضة والخـروج بها مـن الأطـر الضيقة إلى رحـاب العالـم والأمة، لكان الحـال تغير، وكان التأثير أكثر وأوسـع وأفضـل، لذلك كان التقوقع والانكفاف على الذات الطائفية سـاهم بشـكل مباشـر وغير مباشـر في تشويه الصـورة، واسـتغلاله أيضا بشـكل يخـدم تلك السياسـات وتلك الثقافة المضادة.

ثالثا - التخلف العام والجهل بالإسلام

وبسـبب تلك السياسـات والانحرافات عن الدين الصحيح أصـاب الأمـة التخلف الذي وضـع بصماته علـى كل أبعاد الحياة الإسـلامية وجوانبهـا المختلفـة، (صورته عدم الاسـتفادة مما هو إيجابـي فـي حياتنـا وواقعنـا وتاريخنـا، فتنقلـب النعم إلـى نقم، والإيجابيات إلى سلبيات، والحقائق إلى أكذوبات وأوهام، ليكون الخط العام والمسيرة هو تجنب الصواب)، ولذلك إننا افتقدنا إلى التحليل والموضوعية والاستفادة من القضايا والأمور والأحداث سـواء في الماضـي والحاضر والتـي ترتبط بالمسـتقبل، وكأننا لا نريـد السـعادة لنـا وللآخرين، وهـذا بالطبـع مخالف إلـى الفطرة السـليم أولا، والى مفاهيم الإسـلام والقرآن ثانيا وهو الذي يدعو إلـى التأمل والاسـتفادة والعبـرة وتحمل المسـؤولية والتطلع إلى

الأهداف السامية، وهذا من أهم الصفات والمكونات للشخصية الحضارية ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللّـهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

إن الجهل وفقدان الوعي الحضاري ساهم في تكريس الواقع المتخلف والعلاقة السطحية بالمسيرة الحياتية والتاريخية، لهذا السبب لم تستفد الأمة من ذخيرته الحضارية فأصبحت مشلولة وغاب الحس والشعور بالمسؤولية.

---

(١) يوسف ١٠٨.

موقف الأمة من النهضة المباركة

بالرغـم من النهضة هي جزء وحلقة من تاريخ الإسـلام والأمة، وإنهـا تشـكل منعطفـا حيويـا ومفصـلا حضاريـا بـكل مـا يحمل من إشراقات، نجد الأمة غير قادرة على استيعاب الحدث والاستفادة منه، أو شعورها بالمسؤولية، من إن أجل أن تتخطى حقب الظلام وكوارث الصراع والصدام ونفق الاختلافات التي ابتليت بها الأمة والتي كان لها الكثير من السـلبيات حيث غذت النفـوس بالكراهية والتعصب وثقافة الصراعـات المذهبيـة والطائفيـة، والأسـوأ أصبحـت الأرضيـة محط الأطماع والانتهازيين والدخلاء من كل حدب وصوب والعالم.

روح المسؤولية والإيجابية

وأمام هذا الحدث العظيم والمناسبة التي تكرر كل عام ومع انطلاقـة محـرم الحرام[1] وبعد مـرور زمن بعيد مـن واقعة كربلاء

(١) من الواضح أن سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام كانوا يقيمون العزاء ويرفعون رايات الحداد مع انطلاقة غرة محرم الحرام، كما سنبينه في الفصل الأخير بالروايات، أما نظام التعزية وترتيبها في غير يوم العاشر من ذكر وتعزية

تبرز تلك الآراء حول جدوائية واستمرار هذه المناسبة ومدى إسهاماتها في بناء الأمة وتحقيق تطلعاتها وحل مشاكلها في العصر الحاضر؟

والذي يهمنا في هذا الجانب هو عرض لتلك الآراء لأولئك القادة والمصلحين والمفكرين والناقدين بما لهم من آراء ونظريات وتأثير في الناس عبر كلماتهم وخطاباتهم وبياناتهم ومشاريعهم، نخلص إلى أهمها:

أولاً: هو تجاهل الحدث والغض عنه. باعتباره حدثا تاريخيا وبعيدا، والاهتمام به كما ترى يكرس ويساهم في الخلافات وتغذية المشاعر بالكراهية والتعصب، وهذا ليس مطلوبا، بل يجب في هذا الوقت التركيز على العدو الحقيقي للأمة والإسلام.

ثانياً: التأكيد على هذه المناسبة، لأنها تبرز تلك المظلومية التي وقعت على أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله من الرجس، فلا يجوز التساهل والتهاون، خصوصا عن تلك الدماء الزكية، والإهانات التي طالت النساء وحرم رسول الله ص، ويرى البعض

الشهداء من المهاجرين اوالانصار فلم نقف على بدايته وأساسه، كما أنه اختلف هذا الترتيب بين أهل العراق وايران وبين أهل الخليج، فأهل العراق يراعون الترتيب حسب ما حدث في المعركة، أما أهل الخليج يخالفون ذلك وليس معرف السبب لكن جرت سيرتهم عليهم السلام فمصرع علي الأكبر يكون عندهم يوم التاسع، وهو أول شهيد في المعركة، ويقال إن نظام العزاء في الخليج يرجع إلى زمن العلامة الشيخ العصفور رحمه الله والله العالم.

أن إحياء عاشوراء في كل عام من الواجبات الدينية التي حث عليها أهل البيت عليهم السلام، فهي أسوة بهم قولا وعملا، وان اعتراض الآخرين مهما كانت مبرراتهم ما هي إلا دعاوى ومبررات لا تخدم سوى مصالحهم وتوجهاتهم، كما أن القرآن أكد على أن التاريخ عبرة لمن يعتبر، فهل من الصحيح الوقوف فقط على قصص التاريخ التي سجلها القرآن؟ ولذلك نحن نرى أن إحياء عاشوراء هو إحياء للدين مفاهيمه لأنها تحمل مبادئه وقيمه، فهي روح حضارية عبر الأزمان.

ثالثاً: ويرى البعض الآخر إن الإشكال ليس في إحياء المناسبة في كل عام فهذا شأن الآخرين، لكن الإشكالات هي في طريقة العرض والأساليب المتبعة، وفي الاقتباس لتلك المفاهيم والمضامين التي احتوت عليها النهضة، والتي ربما تغذي الناس وتوجههم إلى طريق مسدود، خصوصا عند أبناء الطائفة الشيعية، ومثال على ذلك هي تلك ردود الفعل في مواقفهم وخطاباتهم من التعرض والتشنيع برموز الطوائف الأخرى حيث ينبري البعض باستخدام قواميس السب والشتم واللعن والسخرية مما يثير حفيظة الأتباع، والنتيجة هي أن نعيش في دوامة الصراع الطائفي الذي يحرق الأخضر واليابس، بينما الأمم الأخرى تتقدم من خلال تجاوز حقب الماضي المظلمة والأخطاء القاتلة.

وهنا لا نريد من خلال عرض الآراء مناقشتها، إلا بمقدار اهتمامنا لتصبح قضية ومناسبة محل اهتمام الرأي العام،

وإخراجهـا من إطارها الضيق كما اشـرنا، وينصب الاهتمام بإبراز جوانبها المضيئة والحيوية وهي تلك المبادئ التي خرج من اجلها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، «فهي مناسبة حفرت عبر الأجيال أحزانها وشجونها ومأساتها، بحيث لا يمكن إلا الاعتراف بواجبنا أمامهـا أخلاقيـا ودينيـا وحضاريـا يرتقـي بنـا إلى عظمـة الحدث والمأساة وجلل المصيبة والفادحة.

كربلاء مناسبة ومأساة فرضت نفسها على الواقع

مهمـا قيل عن كربـلاء فان الحدث فرض نفســه على صعيد الواقع والتاريخ، وهذا هو سر من أسرار هذه النهضة المباركة إما:

١- لأن الله سبحانه وعد في كتابه بأنه لا يضيع اجر العاملين والمحسـنين، فكيف بالدماء الزكيـة والأرواح الطاهرة من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه البررة، التي أهريقت وزهقت في سـبيل الله قـال تعالى ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَـبيلِ اللّهِ أَمْـوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾[1].

٢- أو لأن اللـه وعـد بنصر مـن ينصره. وقد يسـأل بعضهم كيف يتحقق هذا النصر والحسين عليه السلام ومن معه أصبحوا صرعى وحديثا ماضيا؟

والجـواب: إن الانتصـار لا يقتصر فيه علـى الجانب والبعد

---

(١) البقرة ١٥٤.

المـادي (أي مـن خـلال المعـادلات المادية) إلا إذا كنـا ملحدين وكافريـن والعيـاذ بالله، حيـث يقتصر علـى الإيمان بالمـادة دون سـواها، وبذلك نفتقـد إلى الإيمان والتسـليم بكل مـا وراء ذلك، فهـذا أمـر، والإيمان بالغيب أمـر آخر، من هنا فـان الاقتصار على المعادلات المادية في نظرنا هي نظرة ضيقة ومحدودة لا ترقى إلى التكامل والموضوعية ولا إلى الواقع نفسه، حيث نجد أن الانتصار المـادي لا يدوم وقصير الأجل في أكثر الأحيان، وان الانتصارات الماديـة تنقلب على نفسـها مثـل الانقلابات والانتحارات بسـبب الانتكاسـات في النفـوس والعقول واختلاف الغايـات والأهواء. ولـو كان الانتصار المادي هـو الحاكم والمقيـاس، لخلد ذكر من يحسـبون علـى الاتجاه مـن الزعامات والجيوش والشـخصيات، لكنها نرى العكس تماما، حيث نجد أن البقاء والخلود لمن يحمل مشعل القيم والهداية والحق.

ويشـير الإمـام علي فـي نهج البلاغـة عن تلـك الحضارات والمسـميات والشخصيات التي عرفت بسطوتها وعنجهيتها كيف أنها شـطبت من تاريـخ الذاكرة ولم يبقى منها سـوى العبرة يقول: «أين الفر اعنه وأبناء الفراعنة»[١].

ويقـول تعالى عن فرعـون: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٢]، وحينما نتحدث عن هذا

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٦٣.

(٢) القصص ٤٠.

الشـواهد من القرآن باعتباره وثيقة صادقة لا يعتريها شـك ولا تأثير سوى تقديم الحقيقة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١]، نعم الانتصار المادي مطلوب إذا كان انعكاسـا ونتيجة لانتصار الحق والعدل، بل إن الطبيعة البشرية تتـوق إلـى هـذا الانتصـار وتتطلع إليـه، لأنه يحمـل بشـاير الخير والفضيلة، كما انه تعبير عن الاسـتحقاق الطبيعي، من هنا نجد الله سـبحانه يحفز المؤمنين ويرغبهم ويزرع فيه الأمل بأنه الصراع ضد الباطـل قـد يحقق هذا الرغبة وهـي تحقيق الانتصـار المادي ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّـهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنـدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُـم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[٢]، وهذا هـو الفارق بين جيش الحق والباطـل وكذلك بين الجبهتين، وهي إن الفرصة لتحقيق الانتصار بشـكل كامل لا يكون إلا بسلاح الحق، وذلك عندما تكتمل شـروطه ومبرراته الموضوعية، والأهم هي اقتضاء حكمة الباري، بينما الفرصة الوحيدة واليتيمة للانتصار المحـدود والضيق هـو يكمن في الانتصار المـادي لجبهة الباطل. وبهذه المعادلة ينكشـف ضعف النوازع والدوافع في جبهة الباطل الإقـدام والتضحيات في سـبيل تحقيق النتائـج المادية مهما كانت الحوافز والإغراءات، وإذا كانت هناك رغبة في الإقدام عند البعض هو بسـبب تأثيـر الإغراء والجهل والسـذاجة والطمـع المتزايد في

(١) يوسف ١١١.

(٢) التوبة ٥٢.

كسب الحياة والرفاهية، ومع ذلك نجد هذا الصنف من الناس بعد وهم الانتصار المادي المزيف، يفتقدون إلى السعادة بسبب وخز الضمير خصوصا عند اكتشاف الحقيقة من هوية هذا الصراع والقتال، وعند سقوط الضحايا البريئة والمؤمنة والتي لم ترتكب جريمة في حق الآخرين سوى أن يقول ربنا الله. أما أولئك الصادقون والمؤمنون الذين يعشقون الحق والحقيقة والمبادئ والقيم نراهم يضحون ويتفانون في سبيل ذلك، فإنهم أكثر استعداد وإقداما ومثابرة على تحقيق الانجاز الكامل، والاهم عندهم هو الانتصار للقيم والمبادئ وللرسالة التي يحملونه، لأنها هي الضمانة لخلودهم وخلود مبادئهم، يقول تعالى وهو يعبر عن هذا الروح الكبيرة والإرادة العظيمة في سبيل القيم والتطلعات السامية. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[١].

إن الانتصار المادي بالنسبة لهؤلاء الصادقين ليس إلا ثمرة ومصلحة عامة لسيادة القيم الحقة والمبادئ والقوانين العادلة مثل الحرية والمساواة والعدل وتحقيق الكرامة والبناء والتقدم، لكن هذه ليست دائما شرطا وضمانا لسعيهم وحركتهم وجهادهم ضد العدو وصراعهم الحضاري ضد الباطل، كلا، فهذا لا يمكن أن يكون في الحسبان أبدا، (أي لا يخضع إلى الحسابات الإيمانية ولا المعالات الربانية ولا المسيرات الرسالية)، إنما المطلوب هو

(١) آل عمران ١٧٣.

الاستجابة إلى دعوة الحق، والنداء الإلهي، والبعث الرسالي، دون التفكيـر فـي أي غاية أو مصلحـة أخرى، لا تعبر عـن هذا الهدف، وقد أشـار القرآن إلى هذه القاعـدة الأصيلة التي من خلالها تصان المبـادئ مـن كل زيف واختـراق ووسـاوس شيطانية، والتي من خلالها تبدأ المسيرة الجهادية والرسالية، وهو التأكيد الذي يرسمه القرآن لأتباعه كي يرسخ فيهم قيمة المبادئ في الحياة، ودور القيم فـي البنـاء والصيانة للإنسـان، ورابطـة الإيمان بالله سـبحانه وهو المثـل الأعلى ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُـمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ بِأَموَالِكُـمْ وَأَنفُسِـكُمْ ذَلِكُـمْ خَيْرٌ لَّكُـمْ إِن كُنتُـمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، ﴿يَغْفِـرْ لَكُـمْ ذُنُوبَكُـمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَـا الْأَنْهَارُ وَمَسَـاكِنَ طَيِّبَـةً فِي جَنَّـاتِ عَدْنٍ ذَلِـكَ الْفَوْزُ الْعَظِيـمُ﴾[3]، هذا هو الانتصـار الكبيـر فـي الحيـاة، أما الانتصـار الآخر فذلـك مرهون حسـب المصلحة والحكمة، ومع ذلـك أكد عليه القرآن لأنه تعبير طبيعي عن تطلعات الإنسـان والمجتمعات المشروعة: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَـا نَصْرٌ مِّـنَ اللَّهِ وَفَتْـحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّـرِ الْمُؤْمِنِيـنَ﴾[4] وهو ما يبـرز قيمة وعظمة الإسـلام في دعوته للجهاد وعلى أسـس متينة، مـن الموضوعية والعقلانيـة والرحمانية والتي تنسـجم مع الفطرة

(١) الصف ١٠.
(٢) الصف ١١.
(٣) الصف ١٢.
(٤) الصف ١٣.

الإنسانية والمصالح الاجتماعية والتطلعات الخيرة.

ومع تأكيدات القرآن على هذا البعد الحيوي والحضاري في المسيرة الجهادي فهو أيضا لم يغفل عن تلك الأضرار التي تلحق بالمجاهدين والصلحين والثوار، أي عن الجانب المؤذي للنفس أو البدن أو وقوع الخسائر في الأرواح والمصالح والممتلكات، لكن ذلك قد يكون أمرا طبيعيا، في كل المعارك والصراعات التي تنشأ وتقوم لأي أسباب، فهذا الجانب لا يخص المؤمنين أنفسهم فقط وإنما يتعدى إلى غيرهم، كما هو مشاهد، في الأحداث التي تقع وقد أشار ونبه القرآن على ذلك، وهو يحرض المؤمنين على القتال ويحفزهم حيث يقول: **﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**[1]، وهذا هو الفارق في الشعور والروح بين المعسكرين، معسكر الحق ومعسكر الباطل، اتجاه هذه الانعكاسات المادية والمجاهدات النفسية، فان الأول يتقبل ذلك بكل رحابة، ورباطة جأش، في سبيل المبادئ التي يحملها والأهداف التي يسعى لتحقيقها. أما الآخر وهو معسكر الأعداء فإنهم يشعرون بالخيبة كلما لاحت لهم علامات الهزيمة، لأنهم بذلك يفقدون كل شيء، ومع هذا الشعور يزداد التأثير والقلق والإحساس بالألم لما يصيبهم ويقع عليهم، أو يقع عليهم من أضرار، إذا يجب الانتصار للمبادئ أولا لأنها أساس خلود الإنسان

(١) النساء ١٠٤.

وديمومة الأمم والمجتمعات وبقاء الحضارات، ولذلك نجد هذا البعـد الحضاري والروحي لا ترتبط بزمان دون آخر أو مكان دون آخر، حتى يقال بأن زمن المثاليات والغيبيات قد ولى وانتهى لأننا فـي عصر تحكمـه المعـادلات المادية، مثـل القـوة والتكنولوجيا وأسـرار المعلومات الخفية والسـرية، نقول كلا، وان الحقائق في الحياة ومع تطورها وتقدمها تثبت ما يؤكده القرآن وكل الرسالات السـماوية عبـر التاريـخ، وكذلـك الواقع، بأنـه الصـراع بين الحق والباطـل جولات وان السيطرة والغلبة، هي متقلبـة وهي متداولة بين الناس، لكن النهاية والخط العام في مسـيرة هذا الصراع يؤكد علـى انتصار الحـق والخير والفضيلة على الشـرور والباطل، وهو ما وعد به ربنا الله سـبحانه ﴿إِنَّ اللّهَ اشْـتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأموالهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْـهِ حَقّـاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيـلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَـى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

وتأكيدا على ذلك هو ما تجسد عبر التاريخ في الماضي البعيد والقريب من انتصار الله سبحانه إلى رسله والمؤمنين والصالحين، في كثير من المناسبات والأحداث، بالرغم من الاختلال في ميزان القوى(كمـا هو مصطلح العصر) يقـول تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُـلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، والأمثلة لا حصر

---

(١) التوبة ١١١.

(٢) يونس ١٠٣.

لها لا كن ينبغي التأمل والإنصاف للتاريخ والواقع والتجربة. يقول تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١]، أي أن دحر الأعداء ونزول العقاب وسحق الظالمين وإبادة الحضارات المنحرفة مظهر من مظاهر الانتصار الرباني والمعنوي، وكذلك المادي. فهل يعي الغافلون والأعداء هذه الحقيقة؟

انتصار الحسين عليه السلام على الزيف

وبذلك نعرف سر هذا الانتصار الرباني من خلال استمرار الرسالات وتخليد ذكرى الرسل والأنبياء والأولياء والرساليين على رغم أنفوف الظالمين وكيد الباغين وعناد الحاسدين الذين يحاولون إطفاء نور الله بكل الوسائل والسبل والمكايد والسياسات، كما عبر القرآن ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[٢]، هذا النور وهو الإسلام وسيرة الأنبياء والأولياء والمصلحين، لكن يد الغيب وإرادة الحق وإصرار المخلصين هي التي تحسم كل الصراعات والمواجهات وليس فقط القوة والعتاد والسلاح كما يتصور البعض ويتراءى له أو يقع تحت تأثير الانبهار أو تأثير الإعلام وتأخذه هيبة المظاهر من الحشود العسكرية وإبريق المناورات بإبراز تفوق القوة بعرض قوة السلاح وتطور التكنولوجيا وكافة الآليات التي تعتمد

(١) الروم ٤٧.
(٢) الصف ٨.

فـي المواجهـات، كلا وقد رأينا كثيـرا من جيـوش العالم تتضاءل وتنكمش أمام إرادات الشعوب التي تتطلع إلى كرامتها.

ولذلـك نقول: «إن الإرادات هي الحاكمة، ذلك حينما تعبر عن صوت الحق والعدالة وتطلعات الشـعوب وآهات المظلومين وحرمان المسـتضعفين، فلا بد أن يتحقق النصر وتعلو كلمة الحق مدوية بكل الوسـائل، مهما طال زمن الطغيان وشـمت الفجار فلا بد من الصبح أن ينجلي والسـيف أن ينثنـي والظلم يزول وتتحقق إرادة الله في الأرض»، يقول تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّـهَ قَـوِيٌّ عَزِيـزٌ﴾[1]، ويقـول ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُـلٌ مِّـن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَـلِينَ﴾[2]، ويقول: ﴿حَتَّى إِذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُـلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[3].

كمـا يؤكد القرآن علـى الإعداد في مواجهـة العدو وفي كل المجـالات، لأنـه يجسـد إرادة الحق والسـنن، فليس الشـعارات هي السـبيل الصحيح، بل من المنطق الاهتمام بالإعداد المناسب لإمكانيـات العدو حسـب قدراته وإمكانياته، فـي كل عصر، ومما يؤخذ على كثير ممن يحسـبون على الخط الإيماني والرسـالي هو

(١) المجادلة ٢١.
(٢) الأنعام ٣٤.
(٣) يوسف ١١٠.

التهاون في تحصيل القوة والإعداد الجيد والمتقن والبارع في مواجهة أعداء العصر الذين يتباهون بكل قدراتهم وإمكانياتهم المتطورة من الآليات والتقنية العصرية، وترسانات الأسلحة؟ فماذا عسى أن نفعل حيال ذلك؟ يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1].

ومن الحكمة هو الاستفادة من معطيات العصر في كل الجوانب خصوصا تلك الأسلحة التي يتم استخدامها في أي مواجهة مباشرة مع العدو مثل الطائرات والأسلحة ووسائل نقل المعلومات التي من خلالها تعرف قوة العدو المادية.

ونجد في الآية ذلك التأثير القوي المباشر وغير المباشر في تكوين الصورة الحقيقية في نفوس الأتباع وكذلك في نفوس الأعداء، وغيرهم لهذا الإعداد. ولأهمية ذلك ودوره في التأثير على النفوس وإدخال الرعب في القلوب، تؤكد الآية على الإنفاق وبذل المال وتقديم كل ما يكن تقديمه في سبيل تحقيق هذه القوة، فان ذلك من الإيمان والرغبة في الثواب وسبل تحقيق الانتصار في الحياة، كما في ذيل الآية ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) الأنفال ٦٠.

(٢) الأنفال ٦٠.

فلا يمكن تحقيق الانجازات أو الانتصارات على أي صعيد مـن دون بـذل وتضحيات، فكيف نتصـور أو نتطلع إلـى رفع راية الإسـلام وتطبيق شريعة السـماء وتطبيق العدالة في الأرض بدون تضحيات وليس أي تضحيات؟

انتصار الدم على السيف

وهنا يتسـاءل البعض، مع الإيمان بان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ انتصر على يزيد من خلال المعادلة الربانية وتخليد ذكرى النهضة المباركة واستمرار رسالة الإسـلام إلى عصرنا الحاضر، بينما يزيد وأعوانه أصبحوا في مزبلة التاريخ وانمحى ذكرهم إلى الأبد، لكن السؤال لما خرج الحسين بهذه الكيفية التي لا تناسب مع قوة العدو؟

والجواب: يمكن أن نتصور الإعداد على شكلين ونحوين:

- الإعداد المناسب وهو الأساس.
- الإعداد الاضطراري والاستثنائي.

فبعد أن فرضت المواجهة على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لغرض اخـذ البيعـة للحاكم يزيد[1] فكر الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كل الخيارات

---

(١) الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مجلس الوليد:

دخل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على الوليد بن عتبة فسلم عليه، فرد عليه ردا حسنا، ثم أدناه وقربه، ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة، فأقبل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على الوليد فقال: «أصلح الله الأمير والصلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشناء والشحناء وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمد لله الذي ألف بينكما» (الفتوح ٥:

١٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٨٣).

وروى أبو مخنف أنه عليه السلام قال: «الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما»، فلم يجيباه (وقعة الطف، ٨٠). فقال الحسين عليه السلام: (هل أتاكم من معاوية كائنة خبر فإنه كان عليلا وقد طالت علته، فكيف حاله الآن؟) فتأوه الوليد وتنفس الصعداء وقال: أبا عبد الله آجرك الله في معاوية، فقد كان لك عم صدق وقد ذاق الموت...

ثم أقبل الحسين عليه السلام على الوليد بن عتبة وقال: «أيها الأمير! أنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة» (الفتوح ٥: ١٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٨٤، مثير الأحزان: ٢٤، بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥).

وقال الصدوق: إن الإمام عليه السلام قال: «يا عتبة (في بعض التواريخ أن والي المدينة هو عتبة بن أبي سفيان ولكن المشهور ولده وليد بن عتبة، فالصحيح يا بن عتبة) قد علمت انا أهل بيت الكرامة ومعدن الرسالة، واعلام الحق الذين أو دعه الله عز وجل قلوبنا، وأنطق به ألسنتنا، فنطقت بإذن الله عز وجل، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان، وكيف أبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا» (أمالي الصدوق: ١٣٠، بحار الأنوار ٤٤: ٣١٢ عنه، العوالم ١٧: ١٦١). وسمع من بالباب صوت الحسين عليه السلام فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين عليه السلام سريعا فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين عليه السلام إلى منزله، فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتى انفلت الحسين عليه السلام من يدك، أما والله لا تقدر على مثلها أبدا، ووالله ليخرجن عليك وعلى أمير المؤمنين، فاعلم ذلك. فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرت علي بقتل الحسين عليه السلام وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وأني قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، والله ما أظن أحدا يلقى الله بقتل الحسين عليه السلام إلا وهو خفيف الميزان عند الله، لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم. فسكت وأرسل

الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين عليه السلام لينظر أخرج من المدينة أم لا؟ فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله إذ خرج ولم يبتلني الله في دمه ورجع الحسين عليه السلام إلى منزله عند الصبح، ثم بعث الوليد الرجال إلى الحسين عليه السلام عند المساء، فقال عليه السلام: «أصبحوا ثم ترون ونرى» (الإرشاد ٢٠١، تاريخ الطبري ٣: ٢٧١، بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٦، أعيان الشيعة ١: ٥٨٨، وقعة الطف ٨٣) فكفوا عنه الليلة ولم يلحوا عليه. فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضا فصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: «اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وانا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما (في بعض النسخ: إلا ما، وفى مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: الا) اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى» (الفتوح ٥: ٢٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٨٦، ذكر في الليلة الثالثة، بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٨. وزاد فيه ولرسولك في رضى، العوالم ١٧: ١٧٧، العيون العبرى: ٢٠. أعيان الشيعة للعاملي ج ١ (ص) ٥٩٣).

كان الحسين عليه السلام يقول وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام (الفرام خرقة الحيض. - المؤلف) المرأة وجاءه محمد بن الحنفية في الليلة التي أراد الحسين عليه السلام الخروج في صبيحتها عن مكة فقال له يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فان رأيت أن تقيم فانك أعز من بالحرم وأمنعه فقال يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم فاكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له ابن الحنفية. فان خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فانك امنع الناس به ولا يقدر عليك احد، فقال انظر فيما قلت، فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فاتاه فاخذ بزمام ناقته وقد ركبها فقال يا أخي أ لم تعدني النظر فيما سالتك قال بلى قال فما حداك على الخروج عاجلا قال أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال يا حسين اخرج فان الله قد شاء أن يراك قتيلا فقال محمد بن الحنفية إنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال.

المتاحة والممكنة في مواجهة هذا الموقف. وأهمها هو حشد جماهير الأمة لكن ذلك لم يكن بالسهل للعوامل المختلفة*، منها هو سيطرة النظام الحاكم على مقاليد البلاد ورقاب الناس، جعل من هذا الخيار أمرا صعبا والدليل على ذلك هو تخلي الكثير من الناس المحسوبين على أهل البيت من الموالين عن الحسين عليه السلام ونهضته مع أن بعثوا الرسل والكتب يحثون الإمام عليه السلام على الإقدام، وذلك خوفا من بطش يزيد وأعوانه. ولأهمية هذه المراسيل التي وصلت للحسين من أجل النهوض نلخص أهم الجوانب فيها لإلقاء الضوء على هذه المسيرة:

١- إن الإمام الحسين عليه السلام هو المؤهل لقيادة الأمة
٢- إن أرضية الثورة مهيأة وممارسة هذا الدور
٣- إن الواقع الفاسد والظلم المتفشي لم يترك خيارا إلا المواجهة.
٤- إن مبايعة الحسين عليه السلام ليزيد أو سكوته سوف تزيد الوضع ارتكاسا وانحرافا، لأنه يمثل الشرعية الدينية، من هنا جاء التأكيد على هذه المبايعة الخاصة، وإلا فسوف يقتل الحسين عليه السلام ولم كان متعلقا بأستار الكعبة.

إذا كان خروج الإمام عليه السلام ومواجهته أمرا اضطراريا لا يمكن التخلي عنه، ومع ذلك سعى الحسين عليه السلام إلى تفادي المواجهة، بعد أن تكشفت الأمور، حيث طلب الحسين عليه السلام من مبعوثي ابن زياد أن يتركوه وعالته وأصحابه بالرجوع دون المواجهة العسكرية،

وكان هذا الاقتراح مقبولا ومنطقيا عند بعض قادة بن زياد،، لكن إلا خير رفض وأصر على أخذ البيعة وإلا المواجهة والقتال، وبالرغم صعوبة الموقف وخطورة المهمة، اختار الحسين عليه السلام طريق العزة والكرامة المصلحة العامة في حفظ الدين أولا، ومسيرة حياة الأمة وكرامتها ثانيا، ولذلك كان الحسين عليه السلام في مواجهة حضارية وليست مواجهة مؤقتة، وفي جهة ومكان وزمن محدد، لأن الأمر يتعلق بمصير الأمة وبيضة الإسلام[١]. ولقد أشار الحسين عليه السلام في كثير من أقواله وخطبه إلى ما آلت إليه الأمور حيث يقول: «لما أحيط به بكربلاء وقيل له: انزل على حكم بني عمك، قال: لا والله! لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد، فاختار المنية على الدنية وميتة العز على عيش الذل، وقال: ألا أن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت وأنذرت، ألا واني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وكثرة العدو وخذلان النصر، ثم وصل عليه السلام كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي فقال[٢]: ثم أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي:

فإن نهزم فهزامون قدما
وأن نغلب بغير مغلبينا

---

(١) تسمى الخودة التي توضع على رأس المحارب بيضة. فحينما يضرب المحارب فإنه يتعرض إلى الخطر، فكني بذل على الخطر على الإسلام.

(٢) عيان الشيعة للعاملي ج ١ (ص) ٥٨١.

وما أن طبنا جبن ولكن
منايانا ودولة آخرين
فلو خلد الملوك إذا خلدنا
ولو بقي الملوك إذا بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ومن جملة أقواله بشكل واضح في الخلوص من هذه المواجهة وتجنبها هو ما تحدث به إلى القوم «أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض، فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه. فقال الحسين عليه السلام: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر مثل العبيد» ثم نادى «عباد الله: إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».نفس المصدر السابق

فكان لا بد من الخيار الثاني وهو الخروج الاضطراري الذي يفتقد ولا يبقى معه الإعداد المناسب، لكنه مطلوب لأنه يعبر عن الضمير الإنساني والدعوة الربانية والمسؤولية التاريخية، وبتعبير أدق إنه تقديم الأهم على بقية الأمور المهمة، وهذا أمر عقلانيا، حتى نجد ونكتشف إن الحكمة هو كل ما قام به الإمام الحسين عليه السلام حتى خروجه مع أهل بيته من النساء والأطفال. لأن حاجة النهضة والثورة إلى ذلك في إكمال المسيرة.

فـلا يـلام الإمام الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعـد ذلـك، مهما قيـل، حيث المصلحـة اقتضـت ذلـك، وان كانـت المعادلـة المادية مـن اختلاف ميزان القوى ليس في صالـح القضية والنهضة المباركة، لكن الواجب المقدس يحتم مثل هذا الموقف الذي يسجله التاريخ، ونظرا إلى ذلك لـم يخضع الإمـام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلـى التأثيـرات الضغوطات حتـى تلك التي تحرص على سلامته وسلامة عياله، وترى ظاهر الأمور لا يساعد على الخـروج أو المواجهة وبهذه الكيفية، فالحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أولى بعياله وبأهل بيته، لكنه باختصار يدعو ربه على بصيرة، لأنه يسير بخطى ثابتة على خطى الرسالة المحمدية الذي يقول عنه تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ﴾[1]، ولذا لـم تكن تلك التأثيرات تؤثر في موقف الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ انه مصداق لقوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، بل سعى الإمـام عَلَيْهِ السَّلَامُ لحـث الناس للقيـام بواجبهـم ومسـؤولياتهم المصيرية والتاريخيـة وحذرهم مـن عواقب الأمور «ثم قال: أمـا والله لا تلبثون بعدهـا إلا كريث ما يركـب الفرس حتى تدور بكـم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور فاجمعوا أمركم وشـركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون أني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أن ربي على صراط مستقيم»[3]. ومن خطبه في

(١) يوسف ١٠٨.

(٢) المائدة ٥٤.

(٣) نفس المصدر

استنهاض الناس قال: «أما بعد فإنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، ألا وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟! فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»[١]، وقال: «إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير بقول ولا فعل كان حقا على الله أن يدخله مدخله، إلا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وإني بهذا الأمر وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم وأنا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ونفسي مع أنفسكم وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم ولكم بي أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي منكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام[٢].

---

(١) راجع المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ١١٤، ح ٢٩٤٢، الحدائق الوردية: ١١٣ ذخائر العقبى: ١٥٠.

(٢) عيان الشيعة للعاملي ج ١ (ص) ٥٩٦.

الحسين عليه السلام رمز للبطولة والفداء

الخلاصـة: «كانت الأمة بحاجة ماسـة إلى هزة في الأعماق ويقضـه في الضميـر وصرخة مدوية فـي النفوس والعقـول وأمام العالـم، حتى تسـتعيد الأمة عافيتها، وبلغة العصر كانت بحاجة إلى عمليـة جراحية اضطرارية قصوى يسـتأصل فيها أمراض الأمة من جذورها من التخلف وسياسـات الاستبداد، فكان الحسين عليه السلام هو وأهل بيته وأصحابه كبش الفداء»

«لتصبـح تلك الدمـاء الطاهرة شـلالات الرحمـة التي تصب في الأنهار والوديان، لتسـقي بذلك شـجرة الحرية والكرامة في كل عصر ومكان»، فأينما ذكر الحسـين عليه السلام ذكـرت الحرية وتحققت الكرامـة. وبهـذه التضحيـة التـي يرى فيها الحسـين عليه السلام السـعادة الحقيقية والأبدية من خلال تحقيق أهدافه وتطلعاته، أصبح الحسين عليه السلام رمزا للبطولة والوفاء وقدوة للأحرار والثوار ومنهج للإصلاح ومشـعل للهدايـة ووقود لـلإرادة والثبات، كما قال فـي حقه الزعيم الهندي (غاندي): تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فانتصر

ويقول الشاعر:

عشـق الاحـرار سـنتك التـي لـم
تبقـى عـذرا للشـجى مقبـولا

وبذلك انتصر الدم على السيف، والكلمة على الصمت، والخير على الشر، والحقيقة على الزيف والانحراف، والعدل على الظلم.

أما حرم رسول الله ومسير السبايا فكانت كالقارعة وما أدراك ما القارعة على رؤوس الظالمين، فسلبت هجوعهم وأيقظت منامهم وكدرت استقرارهم، بما يحملونه من سلاح الكلمة والحقيقة والمأساة، ليجد الظالمون مثل يزيد وأعوانه ومن سار على دربهم مواجهة، أخرى لا تقل تأثيرا عن إسالة الدماء، «ولولا دور السبايا[1] لاختفت معالم الرسالة الحسينية وما كان لها هذا الصيت والتأثير الذي ليس له نظير، لكنها إرادة الله سبحانه التي تمثل بها الحسين عليه السلام في كلمته وهو يسير بالقافلة: «شاء الله أن يراهن سبايا» كما هي إرادة الله في الدماء الزاكية أن تكون وقود الثورة والحرية وتلهب الجماهير الشجاعة والثبات والتحدي وتحمل الصعاب، وبذلك آتت الثورة أكلها كل حين وزمان لتصبح أنشودة الحياة الخالدة. كما قال الشاعر:

ذكرى تردد في فم الأزمان
كالشمس مشرقة على الأكوان
ذكرى البطولة وهي أسمى فكرة
للنصر والتوحيد والإيمان
فيها الشجاعة والكرامة والإباء
محفوفة بأشعة العرفان
شعت على أفق الطفوف شموسها
من حد سيف وصارم وسنان

(١) وبذلك تحقق ركنا هذه النهضة المباركة وهما أولا- التضحية بالدماء الغالية وثانيا- الكلمة والإعلام..

الفصل الثاني

الأمة واستيعاب الحدث

فالشـيعة[1] لا يختلفون عن غيرهم إلا بمقدار استفادتهم من هـذه المناسـبة والحدث فهم الأقـرب والأكثر إحاطـة من غيرهم بسبب ولائهم وحبهم وإحياء أمرهم في كل الشؤون، مما يمكنهم مـن القدرة في تجيير هذه المأسـاة لصالحهم، وتحويلها إلى روح في كيانهم وتحقيق البناء والتقدم، لكن ما هو واجب الأمة كذلك؟ عـام، والظهـور أمام العالم بما يناسـب النهضـة المباركة من أجل ترويجها وتكريس معالمها، وهنا نشير إلى أهم تلك الجوانب التي تساهم في الاستفادة من عاشوراء في كل عام، والظهور أمام العالم

(١) فهناك توجيهات إلى الشيعة بالخصوص عامة مثل «شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا» ويقول الصادق عليه السلام «الحسنة من غيركم حسنة ومنكم أحسن، والسيئة منكن سيئة ومنكم اسوأ».وخاصة «روى ابن قولويه في الكامل بسنده عن بن خارجه قال: كنا عند ابي عبد الله الصادق عليه السلام فذكرنا الحسين عليه السلام فبكى وبكينا ثم رفع رأسه فقال: قال الحسين أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى (أعيان الشيعة ج١ ص٥٨٦). وهي تؤكد على الاستفادة القصوى من هذه الرابطة والحب والولاء، ومن التفاعل مع الذكرى.

بما يناسب النهضة المباركة من أجل ترويجها وتكريس معالمها:

أولا- الحرص على تقديم الحقيقة للناس:

فليس المطلوب أكثر من ذلك يقول تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1]، وهذا يتطلب الموضوعية وليس المبالغة من خلال البحث المتأني واستقصاء الحقائق ومصادرها، ومن الواضح «إن موضوع كربلاء ومن خلال الدعوة إليه عبر الأزمان أصابه الشيء القليل أو الكثير من الاستحسانات والشوائب، وذلك لعدم جدية البحث وقلة الاطلاع، خصوصا في بعض الأزمنة التي غلب على أهل دعوتها بالأمية، حيث توارث الأحاديث والمواضيع عن ظهر الغيب دون أدنى جهد وتحقيق، وان اشتهروا ببراعة أساليبهم وتأثيرهم في عرض السيرة والمأساة».

«إن عرض الحقيقة من خلال الصادر المعتمدة لا شك تقلل من التأثيرات السلبية وردات الفعل، بل قد تكون دافعا للبحث من قبل الناس ومزيدا من الاطلاع للوقوف عند الحقائق، خصوصا أن مأساة كربلاء ليست مجهولة الحال أو بعيدة عن اهتمام مصادر المسلمين عامة، بل حتى عند غير المسلمين، ومن خلال التتبع وجدنا أن في هذه المصادر الكثير من الاتفاق والمشتركات على الحدث نفسه وحتى على بعض التفاصيل، وان الاختلافات هي قليلة، ولا فرق في هذه الاختلافات حتى في المدرسة والمذهب

---

(١) يونس ٣٢.

الواحد، وهذا أمر طبيعي جدا بما يرتبط بالأحداث خصوصا في ذلك الزمان الذي يفتقد فيه إلى وسائل الاتصال والنقل والتوثيق المطلوب كما هو الحال الآن وما نشاهده من نقلة في هذا المجال.

نعم من المؤسف ما هو موجود في هذه المصادر من توجيه لهذه الحقائق من واقع التأثيرات المختلفة العاطفية والسياسية والمذهبية، بحيث نجد في من يذهب بعيدا عن الحقيقة ومجانبة الصواب[١]، وما ذلك إلا بسبب وجود المؤثر والإرادة الغالبة والمسيطرة على مزاج وإرادة المؤرخ والباحث والكاتب.

إذا نحن بحاجة إلى عناية خاصة وغربلة للتاريخ والحقيقة، بعيدا عن المزايدات والتأثيرات، تتحلى بالشجاعة الكافية في العرض والخطاب ليكون مصداقا للحق والالتزام به لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

وخلاصة إن مأساة كربلاء حقيقة لا يختلف عليها أحد، وهي ليست بحاجة إلى وضع الإبهارات والتحسينات، فالحدث جلل وعظيم من كل الجوانب، مما يدعو إلى إضاءة هذه الجوانب

(١) كالقول بأن الإمام الحسين عليه السلام بايع معاوية، وأن خلافة يزيد كانت شرعية لإجماع الأمة على ذلك، وأن الحسين غُرر به من خلال الكتب التي أرسلت إليه.
(٢) المائدة ٨.

بالشكل الصحيح والموفق وليس إلى استغلاله وإقحام ما ليس له علاقة وارتباط مما يؤثر عليه سلبا ولو بعد حين.

ثانيا- احترام العقول والنقد البناء:

بالاهتمام بالشيء النافع للناس وما يرتبط بحياتهم ومصيرهم ومستقبلهم، وليس فقط على الإثارة للمشاعر والعواطف التي تؤثر على الناس بشكل جرعات مؤقتة، كما هي تأثيرات القصص الخيالية التي تسرد على الأطفال وبعدها يجنحوا إلى النوم العميق.

وهنا نشير إلى بعض الآراء حول الخطاب الحسيني الدارج ومدى تأثيره على الناس واهتمامه بالحقائق والموضوعية:

أ- فهناك من يؤكد على السيرة الخالصة، وان التقصير في ذلك يعتبر تهاون في قدسية المصيبة للمعصوم عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، ولذلك نجد بعض الخطباء يميلون مع هذا الجانب ويسعون لتحقيق رغبة هؤلاء من الناس، دون العناء لاستخراج الدروس والعبر.

ب- والبعض يرى إن الاقتصار على ذلك هروب من الواقع، ولا يؤدي إلى الغاية، بل لا بد من الاهتمام بقضايا العصر والحاضر، وهذا لا يقلل من القدسية ولا يخل بالقضية خصوصا مع الربط الموضوعي واستخلاص العبر.

ج- ويرى البعض هو الاهتمام بالجانبين، لكن بالتأكيد على

السيرة في ظروفها المناسبة في محرم[1]، وذلك يرجع إلى قدرة وكفاءة الخطيب والداعية في كل عصر، من أجل تغذية الأجيال فكل الجوانب المهمة واحترام العقول والحقيقة، «فإذا كانت السيرة تغذي الإنسان بالمعلومات التاريخية وتشحن النفوس بالعاطفة، فلا يعني الغفلة عن دورهم ومسؤولياتهم أمام الواقع، وعبورهم من بوابة التاريخ إلى بوابة الحاضر».

وهنا تبرز شخصية الخطيب والداعية وكفاءته[2] التي تساهم في تحقيق الاستفادة، وأن لا يقع فريسة للتأثيرات السلبية والحماسية، بل ينبغي عليه أن يعيش الواقع والحدث في آن

---

(١) وجدت بعض المستمعين ينبهرون ببعض الخطباء في أيام محرم، وينقلون انطباعاتهم، فأتوجه إليهم أحيانا بالسؤال عن أهمية الأفكار التي سمعوها لكن أجد خيبة الأمل حينما يقولون في الواقع اننا لم نفهم ما يقوله لصعوبة الفهم.

(٢) يقولون عن الخطيب البارع هو الذي يركز على :

١- الحقيقة وإيصالها بشكل مباشر وغير مباشر يفهمها الناس حسب اختلاف مداركهم.

٢- استخدام الأساليب المؤثرة مثل نبرة الصوت، القصة، النكتة، الاشارة، الامثلة، التقريب والنظائر، مع تجنب عوامل النفور مثل التكرار المخل، طول الوقت، الحديث عن الذات، ملامة الآخرين بشكل مباشر كقوله أنتم كذا وكذا .

٣- الخروج بنصائح مفيدة، ترتبط بالحياة والمعاش، وأنشطة الناس وتخصصاتهم، وتفعيل طاقتهم بالتأكيد على مواهبهم ودورهم والاشادة بخبراتهم وانجازاتهم، وكل ما يحفزهم على ذلك.

٤- وتبقى الأمور الأخرى هي محسنات جمالية مثل المظهر.

واحـد، وان يكون على مسـتوى من التأثير والإقنـاع لعقول الناس وليـس لتخديرهـم، وتجهيلهـم، ولقـد أكـد القـرآن علـى أهميـة الخطـاب والدعـوة للنـاس بالاهتمام بما هو حسـن ومفيـد بقوله ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[1]، وفي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «وقـال الإمام الهادي عليه السلام: خصلتان ليس فوقهما شـيء: الإيمـان باللـه، ونفعـل الإخـوان»[2]، وأي نفـع أفضل مـن تقديم الحقيقـة والنصيحة وكذلك احتـرام العقول، بتجنب السفسـفات والمغالطات والفضول من الكلام.

والسؤال هل يمكن أن يكون الناس ضحية الخطاب؟

حيـن يمـارس في حقها الخطـاب الذي يفتقد إلـى الحقائق والمعلومات والوعي والمسـؤولية، والأسـوأ حينما تكون ضحية التأثيرات السلبية والتي تدفع الناس إلى أنفاق مظلمة من العصبيات والصراعـات وغيرهـا مـن الأخلاقيـات الضـارة، والاسـتهانة بحرمـات الناس تحـت مبررات واهيـة ومنطلقـات منحرفة وأدلة باطلة ومعتقدات فاسـدة، وكلنا يعـرف مدى تأثير الخطاب الديني المتشـدد على الناس وبالخصوص شريحة الشباب المتوهج نحو دوامة العنف والإرهاب في عصرنا الحاضر (كما حدث في العراق وباكستان وأفغانستان الجزائر وبعض دول الخليج).

---

(١) البقرة ٨٣.

(٢) عيان الشيعة للعاملي ج ٢ ص٤٠.

إذا بمقدار ما يكتسب الخطاب الديني أهمية قصوى على الناس في توجيههم وهدايتهم إلى طريق الحق والالتزام، فكذلك هو أيضا يعتبر سلاحا خطيرا ومهددا إذا وجه في الطريق المعاكس والسلبي والناقم والمتشدد في القضايا، إذا الحرص على هداية الناس إنما يكون بالاهتمام الإيجاب بكل القضايا الحياتية وما يصلح الناس، وبذلك يساهم مع غيره من العوامل والتخصصات بإيجاد الأرضية الصالحة والانطلاقة الواعية نحو الأهداف المرسومة.

من هنا نحن بحاجة ماسة إلى ترشيد الخطاب الديني على أهميته وتأثيره من خلال:

أولاً: الاهتمام بإنشاء المراكز والمؤسسات التخصصية والتشاورية في مجال الدعوة.

حتى لا ينطلق الخطيب من وجه شخصية بحته، أو يكون مستبدا في رأيه، دون التشاور والتناصح والتحاور، فقد يخفى على الإنسان الكثير من الأخطاء والعيوب والسلبيات في دعوته، ولقد أكد الإسلام على مبدأ التشاور كأساس في الحياة وجوانبها، فكيف إذا تعلق الأمر بالدين والدعوة إليه وكذلك في توجيه الناس نحو مصالحهم، فهذا يتطلب الضرورة القصوى الحاجة الملحة إلى الانفتاح والتشاور، وقد حذر الإسلام من خطورة الاستبداد بالرأي كآفة للصواب والحقيقة «من استبد برأيه فقد هلك»[1]، ولا

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ١٦١.

يفهم من ذلك عدم الاستقلالية في الـرأي إنما المطلوب الانفتاح والتحرز، وليكون الخطاب أقرب إلى الحقيقة والموضوعية، وفي الحديث الآخر «من عرف وجوه الآراء عرف الصواب»[١]. فكثير من الأخطاء التي نقع فيها هي بسبب عدم الإحاطة بالموضوع ويرجع ذلك في الأغلب إلى الانغلاق والتعصب للفكرة. بينما التكامل يكون في الاستفادة من عقول الآخرين «أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله»[٢].

لكن للأسف ما نجده عند بعض الخطباء وأهل الدعوة يجدون في ذلك حرجا أو منقصة خصوصا إذا اكتشفوا بأن الموجه والناقد هو ابرع منهم وأكثر إحاطة في بعض الجوانب، وهذا خطأ كبير، لأن من شأنه يمنع تطوير كفاءاتهم ويجمد إبداعاتهم، والمطلوب هو التقدم دائما، وعدم الشعور بالاكتفاء أو العجب لأنه ممقوت وله سلبيات كثيرة على شخصيات الإنسان في الحياة وعلى مستواه في أي شأن، وقد حذر القران من العجب واعتبره مدخل للشيطان الرجيم يقول تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٤]، وتزكية النفس يعني إعطائها ما لا تستحق، وفي نهج البلاغة «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إعجاب

(١) نهج البلاغة.
(٢) ميزان الحكمة.
(٣) النجم ٣٢.
(٤) النساء ٤٩.

المرء بنفسه دليل على ضعف عقله»[1] و «العجب يمنع الازدياد»، وفي الآخر قال عليه السلام: «لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب»[2]. لهذا كله نحن بحاجة إلى الاسترشاد وطلب المشورة.

خلاصة: نحن بحاجة إلى الارتقاء بالخطاب الديني بكل أشكاله وجوانبه إلى مستوى التأثير والكفاءة والموضوعية وذلك لا يكون إلا بالإعداد المتكامل والانفتاح على الآخرين، من أجل كسب ثقة الجماهير والمساهمة في عملية التطوير والتغيير.

ثانياً: ممارسة النقد عند الجماهير

ففي الحديث «وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ»[3]، فينبغي التأكيد على ممارسة النقد عند الجماهير سواء موجه للداعية أو المواضيع والأفكار التي تعرض وتخص حياتهم وترتبط بمصيرهم، وهذا يتطلب من الناس أمور:

١ - رفع مستوى اطلاعهم واهتماماتهم بالشؤون الحياتية المختلفة الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها من بشكل عام

(١) بحار الأنوار، ج١، ص١٦١

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ١١٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٧، خطبها بصفين.

أو عبر التخصصات.

٢- الاهتمـام بالنقد البناء والإيجابي، فليس كل نقد مقبولا، إلا إذا كان بنـاءً، بالاهتمام بالمعرف وكذلك بالأسـلوب الحسـن والمؤثـر، أي بعيـدا عـن الأسـاليب الممتهنة أو الرخيصـة، والتي يـراد منهـا أحيانـا التحقير أو التسـقيط والتشـهير فهذا غيـر مقبول شـرعا وأخلاقـا. فلا بد في عمليـة النقد أن تكـون لائقة من حيث الأسـلوب والتوجيه ومـن منطلق الحرص والإفـادة، فعملية النقد لا تنفصل عن الالتزام والأخلاق والأهداف التي نسـعى إليها، أما التأكيد على مسـألة النقد البنـاء ففي الحديث «كونوا نقاد الكلام»، وفـي كثيـر من الأحيـان ومـن المصلحـة أن يكون موضـوع النقد ينصب علـى الأفكار والموضوع دون التعرض للشـخص نفسـه، فالأشـخاص لا يبقـون في الحيـاة ولا كن الأفكار هـي التي تعمر وتسـود، إلا إذا اقتضت الحاجـة والمصلحة. ولقد ورد في الرواية المشهور عن أمير المؤمنين عَلَيْسَلِّمْ والقصة مع اليهودي حينما رهنه درعه عنده، لكن اليهودي أنكر عليه وادعى شـراءه فاختلفا وبذها إلـى الحاكـم آنذاك، فقضى بالحق إلى الإمـام عَلَيْسَلِّمْ دون التحرز، فقال الإمام عَلَيْسَلِّمْ كلمته المشـهورة «انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال «وهو درس إلى الحاكم وغيره، فالتفريق بين الشخص وما يقول، هو جانب مهم في عملية النقد والطريق الأسـلم من الوقوع في المحظورات من انتهاك شخصية الإنسان والمؤمن.

وللأسـف هـو ما نجـده ومـن خـلال بوابـة (النـت) حيث

تتعرض عملية النقد البناء إلى صراع وانتهاك للحرمات والحقوق، وهو سلوك غير حضاري، حيث يجد بعض النقاد (إن صح فيهم الاصطلاح) فرصة استغلال هذه البوابة إلى تصفية حسابات وإسقاطات وتشهير، ودون حاجز ورادع من الله والناس، ومع ذلك يفتقدون إلى الحلول والمعالجات والبدائل، فهذا سلوك همجي لا يستحق أن نشيد به، ولا يمثل المنهج الصائب في عملية النقد، انه عملية تخريب وهدم ليس إلا، إننا بحاجة إلى النقد الذي يساهم في رقي حياتنا، ونشعر فيه بمسؤوليتنا أمام الله سبحانه، وأمام واقعنا ومصيرنا، «فالنقد البناء مؤشر على الإيمان والالتزام بالقيم وعلى الحرص بالمصلحة العامة» وان التواري عن الأنظار ومن خلال النت وغيره لا يبرر الوسيلة، بالاستغلال السيئ والمشين والهزلي، فالإنسان محاسب على كل كلمة يقول تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

النخبة وممارسة النقد الإيجابي

فهم جزء لا يتجزأ من المجتمع، كما أنهم يتميزون عن غيرهم بحس المسؤولية وكذلك المعرفة والاطلاع على الواقع، مما يؤكد على دورهم الإيجابي بعملية النهوض بقضايا المجتمع، بأن يساهموا ويقدموا أنفسهم كشركاء في عملية التغيير والإصلاح والرقي بالمستويات المختلفة، وليسوا منفصلين،

(١) ق ١٨.

«فالإحساس بالتمايز مهم ودافع إلى تحمل المسؤوليات وليس الشعور بالتمييز والاستقلالية والعزلة والنظرة للأمور من الخارج والتعالي والفوقية لأن ذلك يفقدهم ثقة الناس ونفورهم والطعن في مصداقياتهم»[1]، ومما يؤخذ على النخبة وشريحة المثقفين حسب المصطلح الدارج هو شعورهم بأنهم شريحة مختلفة وله شأن مختلف عن الناس، ولذا نجد حضورهم لا يشكل عمقا في المجتمع وإنما يقتصرون على توجيه الناس من زاويتهم الخاصة أو تقليل أهمية الأدوار الأخرى، فنجد أحيانا التهجم على العلماء والخطباء والحوزات العلمية ومحاولة التقليل من أدوارهم أو التشكيك في أقوالهم وأفكارهم، أو الاستهانة أحيانا بالخطاب الدعوي والاستخفاف به، ويقدمون أنفسهم للناس بأنهم الأكفأ والأقدر والأجدر وان غيرهم مهما كانوا لا يرتقون إلى مستوى فهمهم واطلاعهم، لكن السؤال الذي يتبادر عند الناس دائما هو ماذا يريد هؤلاء؟ وإلى أين يصلون؟ ومن هو المثقف الحقيقي؟

ومن وجهة نظر إيجابية هو القول: «ليس سلبيا الشعور بالتفوق والتمايز لأي كان، لأنه شعور طبيعي إذا كان ذلك حقيقيا

---

(١) الفرق بين التمايز والتمييز أن الأول هو شعور الإنسان اتجاه نفسه من خلال الصفات والمقومات، وهذا أمر طبيعي، ولكنه حينما يتحول إلى سلوك بين الإنسان والآخر، فهذا تميز، وكذلك القول بأن التمايز بين الذكر والأنثى موجود بسبب الخصائص الأنوثية والذكورية، ولكن التمييز بينهما على أساس عنصري فهذا خطأ؛ لأنهما من نفس واحدة، وإن التقوى أساس التفاضل.

ومستحقا، لكن المشكلة هو أن يتحول هذا الشعور إلى عقدة وحاجزا في التفاعل مع الناس والمحيط والمصلحة، بل يجب أن يكون دافعا للشعور بالأولوية في التصدي وتحمل المسؤوليات الجسام، وان يكون لهم شأن وان يكونوا في الطليعة».

والمهمة الأساسية في هذا المجال هو مساهمتهم في الدعوة، لأنها عملية تكاملية، فالدعوة إلى البناء لا تنحصر في شريحة معينة من الناس، أو بتخصص معين، نعم الدعوة من منطلق الدين بحاجة إلى تخصص كغيره من سائر التخصصات كالطب والهندسة وغير ذلك، فلا يجوز الإقحام والتساهل والتهاون في أمور الدين، فالمطلوب التخصص وهو ما أكد عليه الإسلام والقرآن ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، والتخصص المقصود منه هو التفقه، وليس مجرد الدراسة والاطلاع واللباس. كما أن التفقه هو أيضا وسيلة من أجل الدعوة إلى الله، فمن دون تفقه وتمعن وفهم لا يمكن أن تتحقق مهمة الدعوة، ولذلك من الواجب الشرعي هو تحقيق الأهلية وهو التفقه في الداعية ودعوته إلى الله، كي يستطيع أن يخط للناس الطريق الصحيح والمستقيم بدون اعوجاج، فيصح أن ينطبق عليه الوصف في الآية بأنه نذير للناس.

«وبناءً على ذلك ليس من الصحيح هو القول كل من يسلك

(١) التوبة ١٢٢.

طريـق الدعوة هو يمثل الداعي المطلوب والدعوة المطلوبة، كلا، فـلا بـد من التفريق بيـن من يكون مؤهـلا ومتفقها وبيـن من اتخذ الدعـوة إلى الله طريقا إلى الـرزق أو الامتهان وهو يفتقد إلى تلك الأهلية».

والمطلـوب في ذلك هو التفقه العـام والمعرفة العامة وهي القـدرة علـى توصيل مفاهيـم الإسـلام وأحكامه بشـكل صحيح وعدم الوقـوع في الأخطاء الواضحة، والتي ترتبط بعبادات الناس وحقوقهـم، أما الدرجـات الرفيعة من التفقه فقـد يكون أمرا صعبا خصوصا لمن أراد يشتغل بدعوة الناس والاهتمام بهم.

أمـا القول بـان فهم الديـن لا ينحصر بأحـد، (أي المقصود مـن ذلك هم علماء الدين) بأن يكون تخصصهم لا اعتبار له، فهي دعـوة باطلـة من الأسـاس، عقـلا وشـرعا، إلا إذا كان هـذا القول يتسع إلى تكهناتنا وتأويلات وظنوننا وأهوائنا، وذلك إبطال للدين والحـق والدعـوة من الأسـاس، فالديـن منزه عن ذلـك لأنه دعوة حـق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾[1]، ولذلك يؤكد القرآن على الرسول ﷺ ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُـلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِـن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْـدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُـمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّـةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَـرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا

(١) يونس ٣٢.
(٢) الشورى ١٥.

وَلَا تَتَّبِعْ أهواء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢].

وهـذا بالطبع لا يلغي دور فهم الناس العام للكتاب والسنة المطهرة، حسب مستوياتهم ومداركهم، فهناك الكثير من السور والآيات والأحاديث تعرف وتفهم، بشكل مباشر ولا يحتاج إلى التعمق والدراسة، فآيات الوعظ والتذكير والآداب وغير ذلك من التوجيهات البسيطة التي يستفيد الناس منها بالقراءة والاستماع، وهذه ميزة لرسالة الإسلام التي تهدف إلى هداية البشر.

٣- التعاون والمسؤولية المشتركة: فالنقد الذي يفتقد إلى الروح الإيجابية من التعاون المشترك والبناء قد لا يحقق الهدف، فعملية البناء ليست مجرد اهتمامات قشرية أو فقط بالكلام، وإنما تكون بالاستعداد المشترك إذا اقتضت المصلحة والضرورة، أما مجرد الانتقاد واكتشاف العيوب ليس كافيا، بل لا بد من السعي نحو العلاج والإصلاح والتعاون وتحمل المسؤولية، ومثال ذلك لو كان هناك مجلس للقراءة لكنه يفتقد إلى الكثير من المقومات من أجل حضور الناس وكذلك لتوصيل الخطاب المناسب بالصورة المناسبة، فهل علاج ذلك يكون فقط بالكلمة أم لا بد من

(١) الجاثية ١٨.
(٢) ص ٢٦.

التعاون والسعي في تهيئة المكان، وهكذا في المجالات الأخرى، إذا التعاون هو الذي يبرز الروح الإيجابية وكذلك هو المؤشر الحقيقي للوعي والمسؤولية وليس مجرد النقد أو الكشف عن السلبيات، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

ثالثا- دور القدوة:

من أهم عوامل التأثير في الناس عبر الخطاب وفي أي جانب هو مدى صدق الكلمة، من خلال التجسيد العملي في السلوك والمواقف ومسرح الحياة، فماذا ينفع الداعية بالحديث عن الكريم والشجاعة والنظام والترتيب وهو بخيل وجبان ويعيش الفوضى مثلا، ذلك مدعاة للسخرية، وليس كل الناس يفرقون كما قلنا بين القائل وما قيل، أي بين المبادئ والقيم وبين الأشخاص، وإذا قيل بأن الكمال المطلق لله سبحانه، فهذا حق، ولكن مطلوب أن نتأدب بآداب الله ونسعى نحو التكامل، أو نقتصر على قول ما نستطيع أن نفعله، فذلك أشد تأثيرا من القول الكثير بدون فعل وتطبيق، ولا يفهم من ذلك أن يمتنع الإنسان من توجيه الناس في جوانب تخصصاتهم، وإنما المطالب به هو شعور الناس وثقتهم بالموجه بأن يكون قدوة في حياته، من خلال تجسيده وسعيه وعمله، ولذا نجد كيف كان أهل البيت عليهم السلام مع الناس خصوصا

---

(١) المائدة ٢.

مع أصحابهم، حتى نجد هؤلاء الأصحاب والمقربين يتحدثون عن صفات الأئمة وسلوكياتهم ومدى تأثير شخصياتهم عليهم، فهم لا يكتفون بالتوجيه والنصح والإرشاد وإنما أيضا هم يسبقون الناس في كل خير، وهنا نذكر أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام وهو ضرار يصف الإمام عليه السلام وكيف يراه في نفسه وعينه «طلب عدوه معاوية بن أبي سفيان من أحد أصحابه ضرار بن عمرو، أن يصفه له، فقال له: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك! قال: إما إذا لابد: فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويلبينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا، لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمته! فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. كان يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله! فأشهد بالله إن أتيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا ألي تعرضت؟ أو لي تشوفت؟ هيهات، غري غيري، قد أبنتك ثلاثا، لا رجعة لي فيك! فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير!!! آه من قلة الزاد، ووحشة الطريق، وبعد السفر!!! قال فوكفت دموع معاوية،

ما تملكها عن لحيته وهو يمسحها بكفه، وقد اختنق القوم بالبكاء! فقـال معاوية: رحم الله أبا حسـن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليـه يا ضـرار؟ قال ضرار: حزني عليه حزن مـن ذبح واحدها في حجرها، فلا ترقأ عبرتها، ولا تسكن حرتها؟ ثم خرج![1]

ومـا يلحظـه النـاس وينتقدونـه فـي هـذا المجال هـو تلك الهـوة والفجوة في حياة بعض الخطباء وأهـل الدعوة بين أقوالهم وأفعالهم وسـلوكياتهم، حيث يجـدون من الحالات التي تفوق ما عند الناس من سـلبيات وعيوب، وهذا أمر مستهجن وغير مقبول، وهو أيضا من دواعي عدم الالتزام الصحيح عند بعض الناس.

وقـد أكـد القـرآن علـى صـدق الكلمة مـن خـلال الإيمان والمسـؤولية والالتـزام الصـادق مـع النفـس والناس حتـى يكون مؤثـرا في الناس ويجد ترحابا واسـتماعا وتأسـيا، ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لِمَ تَقُولُونَ مَـا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2] ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3]، وماذا ينفع الإنسـان نفسـه إذا لم يستفد ويتعظ مما يقـول ويتحدث، فهذا خلال العقلانية، ومردود العلم الذي يحمله الإنسـان، ﴿أَتَأْمُـرُونَ النَّـاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَـوْنَ أَنفُسَـكُمْ وَأَنتُـمْ تَتْلُونَ الْكِتَـابَ أَفَـلاَ تَعْقِلُونَ﴾[4]، خلاصة أن الخطيـب والداعية والعالـم

(١) مناقب أمير المؤمنين: ٢ / ٥١.
(٢) الصف ٢.
(٣) الصف ٣.
(٤) البقرة ٤٤.

الذي يكتسب ثقة الناس ويحقق رسالته في النفوس والقلوب هو الصادق في دعوته، بان يكون قدوة وذلك أبلغ في التأثير وتقبلا من الله سبحانه الذي يوفق الإنسان ويبارك في خطواته ومهامه من هنا جاء التأكيد على دور القدوة وليس فقط الاهتمام بمحاسن الكلام وتزيين المقال وتشعب الموضوع كما يحرص البعض على ذلك، يقول الإمام الصادق عليه السلام «كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم». وأقل سلبيات ونتائج الاستهانه والتهاون بالتطبيق هو عدم تقدير الناس، واقل مكانه في قلوبهم، مهما تظاهروا بالاحترام، فقد يكون من باب المداراة. ويقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي بمثله

عار عليك إذا فعلت قبيح

وهنا نتعرض إلى سؤال مهم يلخص لنا تلك الجوانب المختلفة التي ترتبط بالخطيب والداعية، وهو كيف نميز الكفاءة والقدوة في الداعية بشكل عام والخطيب بشكل خاص، حتى نتجاوز التأثيرات السلبية؟

١- التعرف على نزاهة الخطيب وإخلاصه، بأن يكون همه تبلغ الرسالة وهداية الناس، ونفعهم وار شادهم إلى مصالحهم الدنيوية والأخروية. وهذا يمكن أن يعرف من خلال اهتمامه وتفاعله مع القضايا التي يتناولها.

٢- قدرة الداعية والخطيب بالاهتمام بالتراث الإسلامي

باطلاعـه ومحاكاتـه وتصفيته من الشـوائب التي لم تثبـت بالأدلة والبراهيـن، وابتعـاده عـن الزائـد التـي لا تنفـع النـاس، بـل ربما تضرهم.

٣- التزامـه بالخطـاب المعتـدل والحسـن والمقصـود أن لا يسـيء لأحـد أو جهـة، وإنمـا يركز علـى الحقائـق والمضامين والمبـادئ التـي تنفع النـاس، فالتركيز على القيل والقال، أو سـرد قواميس من الشتائم واللعن والسباب، وكأنه يعيش لوحده وتحت نفـق فـي الأرض، فهـذا سـبب لهبـوط مسـتوى الخطـاب وأثيره السـلبي، فهو لا يخدم أحداً، فنجد في هذا المجال البعض يسـقط بحديثه من خلال التعرض للآخرين أو استخدامه لتلك القواميس، وربمـا يجـد البعض ومن خـلال موقعه وشـهرته ووجاهتـه مبررا لذلـك، مما يقدم فرصة إلى الجهال والمتعصبين والذي يحاولون أن يتصيـدوا في الماء العكر، أن يسـتغلوا هـذا الخطاب كما يحلو لهم، ولذلك نجد البعض يسـر ويفرح لهـذه الأحاديث ويتخذون من صاحبه علما، وبيرقا وقائدا ويشهرونه في الساحة وأمام الملأ، والكارثـة حينمـا يقـع هذا الداعيـة تحت تأثيـر هذه الشـريحة من الجماهير والمسـتمعين فتلك هـي والله البلـوى، فيفرح لفرحهم ويتشجع لتشجيعهم ويخضع إلى أقوالهم وإملاءاتهم، ليصبح بعد ذلك أداه تحركها الأهـواء والميولات والعصبيات. وهذا الصنف فـي الواقع يشـكل خطرا على الدعوة بالإسـاءة إليهـا أولا، وخطر علـى ثقافـة الجماهيـر وأبناء الأمـة ثانيا، وتشـويه صور الإسـلام

الحضارية والقضية الحسينية ثالثا. وفي نهج البلاغة يصف الإمام علي عليه السلام هذه الجماهير والناس بالهمج، فبعد أن يصنف الناس إلى ثلاثة يقول «فهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق»[١].

والمطلوب من الجماهير هو التصدي لهذا الدور السلبي، بالكلمة والنقد والنصيحة، خصوصا إذا كان يتقمص لباس الدين، ويحمل رسالته، ويهتف بشعاراته، لكن للأسف نجد البعض من هذا الصنف لا يقبل النقد ولا التوجيه، فيجد نفسه أكبر من ذلك، وعادة الناس تضعف وتحجم من توجيه النقد للمشهورين، أما بسبب تحقيرهم لأنفسهم، أو تقديسا وخوفا منهم، وهذا خلاف نهج الإسلام في النصيحة والتناصح. وقد حذر القرآن من هذه السلوكيات خصوصا في شخصية العالم ومن يمثل رمزا للرسالة، فهي صفة لا تليق إلا بأهل النفاق والجهال يقول تعالى عن لسان حالهم وفي جوابهم **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[٢]، والعياذ بالله، انه منزلق خطير كما ترى.

٤- التفقه في الدين والأحكام الشرعية: بأن يكون على اطلاع على الأحكام[٣] والقواعد الفقيه والمباني ولو بشكل عام، حتى

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ١٤٧.

(٢) البقرة ٢٠٦.

(٣) يستحسن عدم التعرض إلى تفاصيل الأحكام والمباني لما فيها من الاختلافات الدقيقة نتيجة الاجتهاد وهي مهمة شاقة على المتعلم في الحفظ والتحقيق، فيكف بالناس، فالمطلوب التسهيل (خاطبوا الناس على قدر عقولهم).

لا يقـع فـي محظـورات أو ينقلها للناس بشـكل خاطـئ، وكلما كان الداعية على اطلاع واسـع لهـذه الأحكام وأبوابهـا واختلاف وجوه الآراء كلما كان أكثر قدره على تحقيق المطالب والغاية، والمطلوب في هذا الصدد هو الإنصاف بأن يعرض الفتاوى أو الأدلة ويسـندها إلى أصحابها، ومصادرها وعدم الإجحاف بحق أحد.

وقد أكد القرآن على ضرورة التفقه في دين الله وليس مجرد تحصيل العلم، وهذا له صلة وثيقة بالوعي والبصيرة والحكمة في تبليـغ الرسـالة وعند الحديـث عن أي قضية مقدسـة، من هنا نجد قصـر المهمـة في الدعـوة للدين هـو بالتفقه (وهو الفهـم والفطنة لمـراد الدين وغاياته) يقـول تعالى: ﴿وَمَـا كَانَ الْمُؤْمِنُـونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُـمْ إذا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]. أما الاطلاع ونقل ما فـي بطون الكتب أو الاسـتماع من دون تمييـز أو تحقيق فليس من الفقه في شـيء، وكما قيل يصبح نسـخة زائدة علـى ما هو موجود في الكتب، ومع عدم الاستفادة يصبح عبء على صاحبه ولا يليق بالإنسـان العاقل للتشـبيه في القرآن ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَـمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَـلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْـفَاراً بِئْسَ مَثَـلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

(١) التوبة ١٢٢.

(٢) الجمعة ٥.

قيل بأن لو كان هناك مثال أقبح لضرب به المثل، وهو شبيه بقوله: ﴿لصوت الحمير﴾ الآية.

ومـن الأخطاء فـي هو إطلاق تلك الأحـكام والفتاوى دون سـند يذكر، أو بشـكل خاطـئ أو لمجـرد استحسـانات، أو تقاليد واحتياطـات من أجـل ردع الناس أو تخويفهـم أو الظهور بصورة الحريص وصاحب الغيرة على الشرع، واثبات انه الأتقى والأورع والأفضل.

ولقـد حذر القـرآن من الدعـوة والتبليغ والإرشـاد بلا دليل وعلم وتفقه يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّـمْعَ وَالْبَصَـرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـؤُولاً﴾[1]، وفي الحديث الصحيـح عـن الرسـول ﷺ «من أفتى بغيـر علم فليتبـوأ مقعده من النار» ويسـتوي فـي الحكم الأحكام الخمسـة وهي (الواجب والحرام والمستحب والمكروه والمباح).

٥- سـعة الصـدر والتواضـع: وذلـك مـن خـلال النظـرة الإيجابيـة للنـاس، مهما زلوا وأخطـؤوا لأن ذلك مدعـاة للرحمة بهـم والرفـق، والظـن بهم خيـرا، وهنا تكمـن أهمية سـعة الصدر عنـد القائـد والداعية والموجـه وكل من وضع نفسـه إماما للناس فـي أي جانب، وقد نبه القرآن على سـعة الصدر واعتبرها من أهم مقومـات الشـخصية الناجحة والاسـتقامة، ولولا هـذه الصفة لما اسـتطاع الأنبياء والرسـل مجارة أقوامهم وما صبـروا على أذاهم، من هنا يخاطب الله سـبحانه رسـوله ويقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنـتَ لَهُمْ وَلَـوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيـظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِـنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

(١) الإسراء ٣٦.

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١]، ونجد في هـذه الآية المباركة الشـيء العجاب لما قام به الرسـول ﷺ اتجـاه أصحابه وقومه، وهو يعلم بحالهم ومواقفهم، ومع ذلك فهو يعف عنهم ويسـتغفر لهـم ويشـاورهم في الأمـر[٢]، وكل ذلل ما كان يحدث لولا سـعة الصدر، ولذلك «سـعة الصدر من الرئاسـة»، وقد يقول البعض أن الرسـل والأنبيـاء والصالحين هـم معصومون ولا يتأثـرون، وهذا خطـأ وهـو خـلاف الحقيقـة القرآنية حيث يقـول تعالى لرسـوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٣]، فهم بشر يتأثرون ويتأسـفون على حـال أقوامهم لكنهـم أيضا مأمـورون وملتزمون ومطالبون بأن يكونوا على مسـتوى المسـؤولية، وهذا ما يفهم من الخطابـات القرآنيـة يقول تعالـى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إليك فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]. ويقول أيضا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إليك وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ

---

(١) آل عمران ١٥٩.

(٢) يعتبر الرسول هو افضل الأنبياء عليهم السلام، فهو لم يدع ولم يسأم من قومه مع ما لا قاه من أذى، كما تحدث القرآن عن بعض الرسل وإنما قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». وهو يدل على سعة صدره وانه رحمة للعالمين من الأولين والآخرين.

(٣) الحجر ٩٧.

(٤) الأعراف ٢.

شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[1]، ولذلك أيضا هم يلجؤون إلى الله والتضرع إليه في مهامهم وقضاياهم وتحدياتهم، كما وردت في حقهم من الأدعية والمناجاة، ومثال على ذلك هو قول موسى ع: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي(٢٩)﴾، وشرح الصدر هو سعة الصدر بما يحمله الإنسان من مبادئ حقة ورؤية ثاقبة وبصيرة نافذة يطمئن بها الإنسان، ولذلك فان الله يمن على رسوله بهذه الصفة أمام ما يلاقيه من صعاب وابتلاء فيقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ(٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(٨)﴾. ويشير الباري تعالى إلى حقائق مهمة في هذا الجانب:

١- إنه مهما واجه الإنسان من صعاب، فإنها سوف تزول، وإنها مؤقتة، فهي لا تستمر، لكن طبيعة الحياة تقتضي ذلك. وبهذه المعرفة والحقيقة تسهل مهمة الإنسان وتسهل، وعند زوالها تنكشف هذه القضية أكثر، وهو ما نستفيده من التأكيد لليسر في الآية.

٢- إن كل من يحمل رسالة وأهداف حضارية ومبادئ يكون أحوج إلى سعة الصدر، وإلا كيف يستطيع تحقيقها؟ من هنا يقول الشاعر:

---

(١) هود ١٢.

مـن كـانـت الـعـلـيـاء هـمـة امـرئ
فـكـل الـــذي يـلـقـاه فـيـه محبب

ويقول آخر

إذا عـلـت الـهـمـم فـي الـنـفـوس
ضـــاقـــت فـــي ذرعـــهـــا الأبـــدان

وآخر يقول

مـن لـم يـرد صـعـود الـجـبـال بات
طـــوال الـــدهـــر تـحـت الـحـفـر

وآخر أيضا

إذا رمـــت إلـــى أمـــر عظيم
فـلا تـقـنـع بـمـا دون الـنـجـوم
فـإن طعم الـمـوت فـي أمـر عظيم
كـطـعـم الـمـوت فـي أمـر حقير

وبذلك تحقق مراد الرسول ﷺ وهو استمرار الرسالة إلى الأبد، وكذلك أصبح اسمه مخلدا يفوح منه عطر العظمة والكمال والسمو وتجليات الرحمة والبركة والمحبة بذكره ومحبة العالمين إليه.

٣- أمام الحمل الثقيل والمسؤوليات الجسام والمهمات الصعبة الإنسان بحاجة إلى الارتباط بالله سبحان، ارتباطا وثيقا حتى يستطيع أن يستمر ويبقى صامدا وثابتا، ومن دون ذلك يخفق

الإنسان ويصاب بالضعف، وبذلك تقل همته وتضعف إرادته من هنا أكد القرآن على نبيه بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[1]، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[2]، فليس من الصحيح أن تكون روح الإنسان القائد والموجه وكذلك إرادته وعزيمته خائرة وضعيفة، يتأثر من كل شيء ويصعب عليه أن يواجه الآخرين، سواء انتقادهم أو في مواقفهم المضادة، بل يجب عليه أن يسمو بنفسه ويتحدى المواقف ويكون على مستوى من العزيمة والإصرار بحيث لا ينالون منه، كما ورد في صفات المؤمن بأنه «ينال من الجبل ولا ينال منه».

وجدير بكل من يحمل هموم الناس ويسعى لإصلاحهم ويطمع في هدايتهم ولتحقيق أهدافه أن يكون على مستوى من الارتباط بالله سبحانه، في كل الأوقات وخصوصا في أوقات الفراغ، وأن يكون له ورد في كل يوم من العبادة والدعاء وقراءة القرآن وصلاة الليل التي أكد عليها القرآن وكذلك السنة المطهرة يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً(٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً(٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً(٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً(٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً(٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً(٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إليه تَبْتِيلاً(٨)﴾.

ولذلك نجد بسبب ضعف هذه العلاقة كيف يعاني الكثير من أهل الدعوة ضعف المواجه أمام إشكاليات الواقع والناس،

---

(١) الشرح ٧.
(٢) الشرح ٨.

والبعض ينهزم والآخر يعيش في دوامة من الحديث عن سلبيات الناس، أو الواقع الذي يعيشه، والبعض يبدي تشاؤمه ومللـه واكتئابه من الظروف التي يعيشها، وهكذا تتعدد الإشكاليات والمبررات والتساؤلات، ولكن مهما قيل في هذا الشأن، لا بد من السؤال أولا وهو ماذا يريد الداعية من رسالته ومن الناس؟

إن من أهم الدروس التي نستوحيها من القرآن وفي طريق الرسالة وذات الشوكة، إنه لا يمكن تحقيق ما نصبوا إليه إلا بالجهد والعناء وتحمل المشاق والظروف، وليس بتقديم المبررات أو الاعتراف بالعجز، فهذا مرفوض، ولو كان هذه الأعذار مقبولة ومشروعة لكان ذلك أيضا للرسل فهم القدوة والأسوة، لكن ذلك لم يحصل، وهذا هو الدرس المطلوب من سيرتهم، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ(١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ(١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلى هَارُونَ(١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ(١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ(١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٧)﴾.

نعم المطلوب كذلك أن لا يحمل الإنسان فوق طاقته وإمكانياته، بل يعمل حسب الظروف الممكنة والمتاحة، ومن المفيد في هذه الآيات هو طلب الأنبياء بأن يكون لهم عون ووزير، وهذا يدعو من الإنسان أن يتكاتف ويتعاون مع أهل دعوته وأن ينفرد أو يشعر بانه وحده في الساحة فهذا خطأ قاتل، بل الاعمال

والمهمات الشاقة تحتاج إلى التعاون والتكاتف والتواصي. ولذلك نبه القرآن الرسول ﷺ إلى هذا البعد المهم، بحيث لا يغفل عنه ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[1].

واذا كان المطلوب من الإنسان المسلم أن يعيش مع الناس ويتحمل عيوبهم وأخطاءهم وسلبياتهم، أي يصبر عليها ولا يتأثر منها، فمن باب أولى الخطاب موجه إلى من يضع نفسه إماما للناس وموجها كما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ «المسلم الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يعاشر الناس ولا يصبر على اذاهم»، ويقول الإمام علي عليه السلام «من وضع نفسه إماما للناس فليبدأ بتعليم نفسه وتهذيبها قبل أن يعلم الناس ويهذبهم»[2]، والمعنى أن لا يغفل الإنسان عن عيوب نفسه ونواقصها، خصوصا بالنسبه إلى الإمام فهو بحاجة إلى محاسبة اشد مع نفسه وترويض، وإلا يصبح كغيره.

التواضع الوجه الآخر

والتواضع ركيزة أساسية في شخصية الداعية والقائد، فمن دونها لا يستطيع التأثير في الناس، وقد حث الله رسوله

---

(١) الكهف ٢٨.

(٢) نهج البلاغة.

على التواضع للناس ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، ويقول: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ونجد هناك أحاديث وروايات تؤكد على أهمية التواضع للعالم المخلص، وان كلما ازداد الإنسان علما ومكانة كان أحوج إلى هذه القيمة وتكون في نفسه ففي الحديث «كلما ازداد الإنسان علما في الله ازداد في الله خشية وفي الناس تواضعا وفي الدنيا زهدا وفي الثواب رغبة»[٣] فالتواضع حقيقة هو من اهم آثار العلم ومكتسباته، ومن أهم تجليات التواضع مع الناس هو مداراتهم، ومراعاة مشاعرهم وأحاسيسهم والاهتمام بحياتهم، وليس مجرد الجلوس والحديث معهم كيفما كان، ففي الحديث «أمرت بمدارة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة»[٤] وآخر «أمرت بمداراة الناس كما أمرت بالفرائض». وهنا نشير إلى حقيقة التواضع في الإنسان الدعية والعالم كما تشير إلى التعاليم الإسلامية:

أ- المبادرة في تعليم الناس:

فالناس بحاجة إلى علم العالم، ولكن قد يتصور بعضهم من هذا المنطلق والحاجة، إن الواجب على الناس المبادرة بالسؤال أو الحديث أو الاتيان إلى العالم في بيته ومجلسه والتواجد في

---

(١) الحجر ٨٨.
(٢) الشعراء ٢١٥.
(٣) ميزان الحكمة.
(٤) تحف العقول، ص٤٨.

محضـره، دون أن يكـون لـه دور وتوجيـه يحثهم علـى ذلك، وهذا التبـاس، لأن العالم هو صاحب الرسـالة والتبليغ، وكثيرا من الناس لا يسـألون، وقد يكون من أسـباب ذلك هو عدم التواضع أحيانا أو وجود صفات غير محببة مثل الغضب والسخرية والتحامل، فخشية من ذلك يتلاشى الناس السؤال، إذا المطلوب المبادرة وإفادة الناس ففـي نهج البلاغة «قوام الدنيا علـى أربعة منها: عالم لا يبخل بعلمه وجاهـل لا يسـتنكف أن يتعلـم، فـاذا بخـل العالم بعلمه اسـتنكف الجاهـل أن يتعلـم»[1]، وفـي الحديـث[2]: عن أبي عبـد الله عليه السلام قال: قرأت في كتاب علي عليه السلام إن الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال).

ب- خدمة الناس وقضاء حواجهم[3]

خصوصـا تلـك التـي تتعلـق بأمـور دينهـم، لا كـن يتصور البعـض من أهـل التخصص، بأن على الناس واجـب الخدمة وأن يكونوا على اهبة الاسـتعداد والاستجابة لكل مطالبه وتحت رهن

(١) نهج البلاغة.

(٢) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ (ص) ١١٥.

(٣) وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من علم شخصا مسألة فقد ملك رقبته »، فقيل له يا رسول الله: أيبيعه؟ فقال عليه السلام : «لا، ولكن يأمره وينهاه «البحار، ج ٢، كتاب العلم، باب (١٠) حق العالم، حديث: ١٤. وفي الحديث تعظيم لحق العالم، أما وجوبها (أي الطاعة) لا أحد يقول بذلك، كيف ونحن نرى بعض الناس بما فيهم طلبة علوم الدين ينفرون من خدمة بعض اساتذتهم بسبب غلظتهم وتعاملهم، مع حرص هؤلاء على تقديم الخدمة لهم.

اشارته، ولذلك نجد البعض يتحامل على الناس ولا يتصرف معهم تصرفا لائقا بهم ويدعي بانهم لا يستحقون الاهتمام والمبادرة في تعليمهم أو توجيههم أو التعاون معهم. وهذا هو سبب من أسباب النفـور عند الناس مـن العالـم أو الداعية. إذا المطلـوب التواضع مـع الناس، وتقدير أهتمامهـم مهما كان هناك من تقصير، فما قيمة العلم أو الكفاءة إذا لم تسخر للناس والمصلحة؟

ج- نظرة التفاؤل والإيجابية وعدم التشاؤم

فمن أسباب الانزواء والانكفاف وعدم الاهتمام بالناس هو نظرة التشـاؤم والتعالـي على الناس وذلك من خلال الشـعور بأن النـاس في خطر عظيم، وإنهم بعيـدون عن الجادة، وان حياتهم لا تليق بالاحترام، والتقدير، وبسـبب هذه النظرة السـلبية يتم التركيز على السلبيات والعيوب والزلات، وهذا النظرة لها تأثيرها السلبي في العلاقة والتعامل مع الناس وفي الخطاب والمواقف.

وهـذه النظـرة تجسـد روح الكبريـاء والعجـب والغـرور في شخصية الإنسان، بينما المطلوب هو التواضع والحرص على هداية الناس، فمهما بلغ الإنسـان من التكامل أو العلم فلا ينبغي الشـعور بالكمال أو الافضلية عن سـائر الناس، كما أن مصير الناس ليس بيد الإنسـان بل مرجعهم وامرهم بيد الله فهـو يتولاهم، إنما المطلوب الدعـاء لهـم بالهداية والسـعي نحو تغييرهم إلى الافضـل. إذا لا بد من روح التواضع عند الداعية من خلال النظرة التفاؤلية، والشـعور

والإحساس بالمسؤولية أمام الناس والواقع، وهنا حديث مهم ننقله لتأكيد هذا البعد وتأثيره يقول: «من قال إن الناس قد هلكوا فهو أهلكهم» ولتوضيح ذلك بان هذا الشعور بالتمييز بين الإنسان وغيره من اسباب العجب والغرور والتعالي وهو ما يكفي بهلاك الإنسان مهما كان وهو أيضا من اسباب الجمود والتوقفوالامبالاة.

وهنا نجد تذكير من القرآن للرسول ﷺ في مهمته، وكيف تكون نظرته إلى الناس ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[1]، ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

د- الاعتدال في العيش والحياة

بأن يكون في حالة معتدلة، وقريبة من وضع الناس وحالتهم في العيش، حتى يكون قدوة، أما إذا عاش حياة البذخ والرفاهية المطلقة ولم يراع حالة السواد من الناس خصوصا الفقراء والمساكين، فإن ذلك مدعاة للسخرية والتطاول والمقارنة وعدم التأثير في الناس. إذا المطلوب في الداعية هو التطبيق والالتزام والسلوك وليس فقط الاكتفاء بالاقوال والتوجيه، بأن يكون في ذلك اولى من غيره ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ

(١) ق ٤٥.
(٢) يونس ٩٩.

تَتْلُـونَ الْكِتَـابَ أَفَلاَ تَعْقِلُـونَ﴾[١]، أي بحاجة إلـى ترجمة ما نقوله للناس، أما مجرد اطلاق العنان للسـان، وحـث الناس على الزهد وعدم الغرور بهذه الدنيا والانشغال بها، دون مراعاة ذل في حياتنا وشخصياتنا وعيشنا فذلك من اسباب ضعف الخطاب وتأثيره في الناس، لأنه لا يعبر عن الواقع والحقيقة التي يعيشها الإنسان نفسه، وقد حذر القرآن من هذا الخطاب الدعوي والسلبي يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]، وقد يحتج البعض ويقول بـأن العالـم والداعية هو مثل بقيـة الناس، وله الحـق في أن يعيش كغيره بل يسعى إلى الافضل، فهو حق مشروع؟

نعم هـذا صحيح في الجملة، ولكن من وضع نفسـه للناس امامـا وقائدا وداعية فيجب أن يكون قـدوة، بأن يراعي الناس، بأن يكـون معتدلا في العيش مـع المكنة والمكانـة، ومن دون ذلك لا يكون هناك تمييـز واقتداء، يقول الامام علي في نهج البلاغة وقال عليه السلام: «من نصب نفسـه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[٣].

ومن السـلبيات في هذا المجال هو ما نجده في حياة الدعاة والموجهيـن واهتمامهم بالسـعي نحو الطلـب المتزايد على اقتناء

---

(١) البقرة ٤٤.

(٢) الصف ٢.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ٧٣.

الأشـياء الفاخرة والتنافس مع النـاس في الحاجات والممتلكات، بمـا يفـوق الحاجـات الضروريـة ولا تتناسـب مع الـدور المكانة المناطـة بـه. ومن الملاحـظ هو وجود حـالات تصـل وقريبة من الإسراف والتبذير المحرمين شرعا. فهل هذا مقنع ومقبول؟

مـن هنا يؤكد الامام علـي عليه السلام على ضرورة مقارنة الكلام والتوجيه بالسلوك، وأن لا ننخدع ونتأثر بالواقع، أو نحاول الاخذ ببعـض المفاهيـم التي تناسـبنا كمفهوم الزهد وأنـه «أن لا يتملكنا الشـيء بل نتملكه ونؤثر فيه»، فهذا لا يشـير إلـى الرغبة بالامتلاك أو السـعي نحو الدنيـا، وإنمـا إذا ملكنا فلا يكون مسـيطرا ومؤثرا في اسـتقامتنا، يقول الامام علي عليه السلام «وقال عليه السلام: (لرجل سأله أن يعظـه): لا تكن ممن يرجوا الآخرة بغيـر العمل، ويرجي التوبة بطـول الأمل. يقول في الدنيـا بقول الزاهدين، ويعمـل فيها بعمل الراغبين. إن أعطي منها لم يشبع»[1].

الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام قدوة:

لذلـك نجـد الصالحين من أئمـة الهدى يعيشـون مع الناس ويسـعون في خدمة الناس، يتقشـفون ويزهدون في مفاخر الدنيا، وهكذا نجد العلماء والسائرين على نهجهم كيف يعيشون ويلبسون ويأكلـون، فتتعجـب مـن بسـاطتهم وتواضعهم مثـل المراجع من العلمـاء، فهـم يقولـون ويوجهون النـاس لكنهم في نفـس الحال

---

(١) نهج البلاغة.

قـدوة يحتذى بهـم. يقول الامام السـجاد في الصحيفة السـجادية «اللهـم صل علـى محمد وآلـه، ولا ترفعنـي في النـاس درجة إلا حططتني عند نفسـي مثلها، ولا تحدث لـي عزا ظاهرا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها»، إن التواضع الحق هو الذي يرفع الإنسان ويحفظ مكانته في النفوس والقلوب قبل العيون والانظار، وان تأثيره على الناس يكون أبلغ، ومواعظه للناس ونصائحة تؤسر القلوب ويتفاعلون الناس معها وكما يقول الشاعر:

خطاب الـروح يسري في الأرواح
وتتـقـبلـه الـعـقـول بـــدون عناء

بينمـا نجد البعض قـد أخذ نصيبه من العلـم ويتمتع بالذكاء وله من الإمكانيات مثل البراعة في الكلام لكنه يفتقد إلى التواضع وسـعة الصـدر مع النـاس، إلا أن ذلـك ليس له جـدوى مع الناس فيصبـح مهمشـا بينهـم ولا يديرون لـه اعتبـار، ليجد نفسـه حائرا ومكتئبا. وقد نسـى من كان هذا خلقه «بأن الناس جبلوا على حب من أحسن اليهم وعلى بغض من أساء اليهم».

أما وعد الله للإنســان المتواضع فهو حق ففي الحديث «من تواضـع لله رفعه»[١] ومن يرفعه الله فليس لأحد أن يذله أو يضعه. وما أجمـل وأروع تلك الصورة البليغة من الشـعر التي وصف بها الإنسان المتواضع حيث يقول:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٧، ص١١١.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على طبقات الأرض وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه
على طبقات الجو وهو وضيع

وهنا لا بد من التذكير بأن من أهم اسباب التوفيق للإنسان في مهامه المختلفة هو الاخلاص لله سبحانه، بأن يقصد من دعوته وفعله هو تحقيق رضا الله سبحانه وليس شيئا آخر، اما النتائج التي يسعى إليها الإنسان في أي مضمار من كالتأثير على الناس واستقطابهم فهو بيد الله، وهذه الحقيقة لا تخفى على أحد من أهل العقيدة الصحيحة فكيف بأهل العلم والمعرفة وأصحاب الكلمة، إذا علينا نتذكر دائما قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾[١]، ﴿إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[٢] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[٣].

ينقل بأن نبي الله موسى عليه السلام أوحى إليه ربه بأن يذهب ويبحث عن شخص يكون أقل من حظا ومكانة، فصار موسى يبحث لكنه عند كل مرة يرى فيها شخصا يتراجع، ويفكر مع نفسه، إلى أن رأى كلبا عقورا فقال هذا ليس له شأن لكنه في الاخير تراجع وقال انه حيوان لا يرتكب الذنب، وقد أكون انا مذنبا، فرجع إلى ربه لوحده وحين سأله ربه عن الجواب قال لم أجد أحدا، فقال

(١) الليل ١٩.
(٢) الليل ٢٠.
(٣) الليل ٢١.

لـه ربه لو أتيت بالكلب العقور لمحيت اسـمك من ديوان الأنبياء، فكيف بالإنسان؟

رابعا- الترشيد والتفعيل للطاقات:

كلمـا طل الخطـاب على نافـذة الحياة الواسـعة ومصادرها ومنافعهـا شـد النـاس إلـى فكره وخطابـه، أمـا التجمد فـي زاوية حـادة من الحيـاة وتكرار الأحاديـث والمواضيـع دون مراعاة إلى اختلاف التخصصـات والمهمات والتطلعات فهـذا يفقد الحيوية والتفاعـل من قبل الناس ويسـبب النفور، وهذه مشـكلة ترجع في أساسـها إلى قصـر النظر وقلة الإحاطـة وعدم مواكبـة التحولات والمتغيـرات، وبتعبيـر آخر يجب أن يكون الخطـاب مواكبا لروح العصر. ويكتسـب هذا البعد ضرورة ومهمة حضارية في الخطاب الدينـي والدعـوة، وذلك لحاجة النـاس إلى قيم الديـن ومفاهيمه ورؤاه الحياتيـة، مـن هنا نجـد أن كل نبي جاء لمرحلـة من الزمان يدعـو قومـه بما يتناسـب مـع حاجاتهـم وظروفهم، لكن مـا يميز رسـالة الإسلام بأنها رسـالة خالدة وللناس كافة في عصر وزمان، مما يتطلب الفهم العميق للقرآن والإسـلام ليصبح قائدا في مسيرة الداعيـة، وهنا نجد كتاب الدعوة والمصدر التشـريعي الأول وهو القـرآن كيـف اسـتوعب مجالات الحيـاة وتحدث عنهـا، وهذا ما يميـزه عن غيره، حيث احاط بكل المواضيع وأهتم بكل الوسـائل والأسـاليب مثل القصـة والحـوار.... الخ، وهذا ما جعـل القرآن يلبـي حاجات الناس وميولاتهم واغراضهم من الباحثين والعلماء

والمفكرين والادباء وغيرهم، ولولا ذلك ما كان يشد القراء إلى قراءته بشكل مستمر ودائم «وما قيل في حق القرآن بأنه لم يأت بتكرار ابدا، بل هو مكمل بعضه بعضا ومفسر بعضه بعضا» وبذلك قضى على كل عوامل الاستهجان والنفور، ويعني ذلك أن كل مواضيع الحياة مهمة، ولكن من الحكمة هو اختيار ما يناسب الناس وظروفهم والاهم اختيار الاهم من المواضيع ثم المهم، وهو مقتضى الحكمة قبل كل شيء يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أحسن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

ومن أهم الجوانب والابعاد في حياة الناس هو توجيه وترشيد الطاقات وتفعيلها بما ينفع الناس ويحقق مصالحهم ويسعدهم، فلا يجوز الاكتفاء بالمواعظ والإرشادات العامة دن فهم إلى الدور المطلوب من الإنسان والمجتمع والأمة، وهنا ينبغي الاشارة إلى مهمتين:

١ - التذكير بالقوى والطاقات والنعم التي من الله بها على الناس كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3]، فنجد في الآية الثانية تذكير

(١) النحل ١٢٥.
(٢) النحل ١٨.
(٣) إبراهيم ٣٤.

بالنعم التي سخرها الله للناس وكل ما يحتاجون إليه، لكن قد يكونوا غافليـن عـن ذلك، وهنـا يأتي دور الخطيـب والدعيـة بالتركيز على دور الإنسـان وقدراتـه الخلابة وقدرته على الاسـتفادة من كل النعم وتحويلها من أجل البناء والتقدم والسعادة. ومحاولة تذليل العقبات ومواجهـة التحديات والتحذيـر من مغبة الجهـل والكفر والضلال، كما تشـير الآيـة أن تعطيل الطاقات أو تسـخيرها في غيـر المصلحة واستغلالها بشكل سيء يعتبر نوع من انواع الكفر العملي.

٢- ومقتضى التذكير هو الاستفادة منها وتسخيرها لمصلحتهم.

مـن هنـا ينبغـي الحديث حـول كل المجـالات التي تخص النـاس، والمجـالات التـي يهتـدون إليهـا، فنـاك الجانـب الديني والاجتماعي والسياسـي والاقتصادي والاداري والأخلاقي وغير ذلـك، واذا كان هنـاك مواضيـع مهمـة وخاصـة ضمن مناسـبات فهـذا لا يعنـي عـدم الاسـتفادة مـن بقيـة المواضيـع والجوانـب. والجذيـر بالذكـر أن السـنة المطهرة هي الأخرى اكـدت على كل المجـالات الحياتية وفي كل الابعاد، بحيـث من الصعب أن تجد جانبـا مـن الحياة لا يوجد في مـن الأحاديث والروايـات ما يكفي ذلـك وزيـادة، وكلما كان الداعيـة والخطيب مكثـارا من الاطلاع على هذا الأحاديث الشـاملة للحياة الماديـة والمعنوية ازداد قدرة واتساعا في الحديث وتناول المواضيع المختلفة، بل نجد في هذه الأحاديث ما يدعو إلى الانبهار، (في الكثرة والاهتمام والتفصيل) وهو الاعجاز الآخر بعد القرآن.

خامسا- وحدة الأمة وكيانها

فمن دونها لا يمكن أن نبني أمة ولا نشيد حضارة، لأن مفهوم الأمة يعني الجماعة والمجتمعات والأمم، وليس الأفراد، وإذا ورد في القرآن «أن إبراهيم كان أمة» فهو تأكيد وإشارة إلى تلك الصفات والمقومات للشخصية وليس الشخص. وهذا المفهوم يرشدنا إلى حقائق:

أولا - التأكيد على بناء الكفاءات والشخصيات من خلال العلوم والثقافات، أن ينصب الاهتمام بالعلم كرسالة وبناء، فليست هوية الأمم بالكثرة والجماعات، كلا، وإذا كان هناك حث على التكاثر في أمة محمد ﷺ فهذا لا يعني الاهتمام بالكثرة على حساب الكيف، لنصبح بعد ذلك غثاء كغثاء السيل. إنما المطلوب الاهتمام بالإنسان علميا والارتقاء به، وفي كل المجالات والتخصصات، (فالمطلوب العلم دائما وأبدا)[1].

---

(١) تحت هذا العنوان كتب الكاتب محمد المحفوظ من مدينة سيهات شرق السعودية في صحيفة الرياض بتاريخ ٨/ ٥/ ٢٠٠٧، مقالا جاء فيه «نحن كمجتمعات احوج ما نكون إلى المنجز العلمي الحديث، ولا سبيل أمامنا إلا بتوفير بيئة قانونية واجتماعية وعلمية حاضنة، ... لهذا فاننا نؤكد على النقطتين التاليتين:
١- الانفتاح والتواصل مع المنجز العلمي، فالتواصل اليوم يتطلب تأسيس حركة ترجمة نشيطة من اللغات إلى اللغة العربية، وبلغة الارقام فان الوطن العربي وتعداده (٢٥٠) مليون نسمة يصدر في السنة ما يقارب (٦٧٥٩) مطبوعة بين تأليف وترجمة منها (٥٤٨) في العلوم، بينما أسبانيا تعدادها (٣٩) مليون فانها تصدر حوالي (٤١٨١٦) مطبوعة منها (٢٥١٢) في

والمأخـوذ على أمتنا في هذا العصر: إنها لا تقيم وزنا للعلم بمـا فيه الكفايـة ومقارنة مـع المجتمعـات الأخـرى، والدليل هو المقارنـة بالتقـدم والتفـوق بيننا وبينهـم، حيث نجد مـن الصعب المقارنـة والمقايسـة، وطلـب العلم لا يحتاج إلـى إقناع بضرورته ومكتسـباته، ففي الحديـث «إن من فضل العلم إن الجاهل ينسـبه إلى نفسـه»، ولكن يحتاج إلى تشجيع وتذليل للعقبات، خصوصا في عصرنا الحاضر حيث المتطلبات والمستلزمات.

وهنا لا بد من وجود ثقافة حياتية تؤسس للاهتمام والتشجيع على العلم والثقافة في كل الجوانب والمجالات خصوصا المهمة والتي يحتاج الناس وذلك:

١- التأكيد على قيمة ودور الإنسان ورسالته في الحياة:

ففـي الحديـث «قيمة المرء ما يحسـنه »، وقـد نقل عن علي عليه السلام أنـه قال مبينا عظمة خلقة الإنسـان: «أتزعم أنك جرم صغير وفيـك انطوى العالم الأكبـر»[1]. فالاهتمام بقيمة الإنسـان ودوره

العلوم، وان اجمالي الكتب المترجمة في كامل الوطن العربي منذ ما بعد العهد الخليفة العباسي المأمون وحتى التسعينيات القرن العشرين لا يصل إلى (١٥) ألف عنوان، أي ما يساوي ما ترجمته اسرائيل في أقل من (٢٥) عام أو البرازيل في أربع سنوات، أما اليابان فهي تقوم تبرجمة ما يزيد على ثلاثين مليون صفحة سنويا.

٢- من الظروري تظهير القيم والمباديء الإسلامية والإنسانية التي تحث على التفكير واعمال العقل والابداع، وتشجع على العلم والتفكير.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

تكون في دفعه وتذليل الصعاب وبتقديم المحفزات.

٢- الاهتمام بالمناهج العلمية والمعاهد التخصصية والجامعات والدراسات العليا.

٣- إنشاء الحقول العلمية والعملية، فلا فائدة من العلم بدون العمل، فلا بد من إيجاد المشاريع والورش العملية التي تكفل بتطبيق كل العلوم النظرية.

٤- الاستفادة من الخبرات العالمية المختلفة، عبر مناهجها وعقولها وانجازاتها، ويجب القول في هذا الشأن هو الحرص على تطوير الكفاءات سواء محليا أو خارجيا، بأن توضع منهجية ورؤية للاستفادة فيما بعد من هذه الكفاءات في الداخل، ولا يجوز عرقلتها أو التهاون في حقها وأن توضع في المجالات الحقيقية والتخصصية.

٥- يجب إيجاد مشاريع صناعية وعدم الاكتفاء بالصناعات الخدماتية والتجميلية والتركيبية، أن تكون هناك صناعات وطنية، وهذا يدعونا إلى وضع الخطط والاستراتيجيات للانتقال بالعلوم النظرية إلى العملية وكذلك من الصناعات التركيبية إلى الإنتاجية.

وفي هذا السياق هو الاهتمام والانفتاح على متطلبات العصر من العلوم والتكنولوجيا ومن كل أنحاء العالم المتطور والمتقدم، دون الاكتفاء بالشراء والاستيراد، فالاعتماد على ذلك لا يحل المشكلة، بل يساهم في تكريس الهوة والفجوة، مهما

بالغنا في توفير الحاجات والمستلزمات، حيث يبقى الإنسان في الوطن غير ضالع وليس له ربط في هذا البناء، فمهما علت الأبنية وكثرت الجسور وتعددت الأنفاق، وتطورت وسائل الاتصال وتجملت البلاد، فلا يدل ذلك إلا على كثرة الانفاق، وغياب الوعي وانعدام المسؤولية والروح الاستقلالية. وهذا بدوره يعمق حالى الاستيراد والاحتياج إلى درجة الاعتماد كل الاعتماد على الغير في كل شيء، فنصبح اسراء لهذه السياسة، وهذا سمة الأمة المتخلفة، يقول الامام علي عليه السلام «احتج لمن شئت تكن اسيره واستغني عمن شئت تكن نظيرة واعطي عمن شئت تكن أميره».

ومن اكبر المهام في عصرنا الحاضر هو السعي لتحقيق هذه الاستقلالية، وهذا لا يكون إلا بالعلم أولا، والشعور بالاكتفاء ثانيا، وأن تكون لنا بصمات في العالم حتى نتميز (أي رسالة) ثالثا.

ثانيا- الاهتمام بثقافة البناء وليس الهدم: فيجب التركيز على مقومات النهوض والبدائل والحلول للمشاكل، وليس الاكتفاء بمعرفة الامراض والعيوب. ويتم ذلك بتغزيز الثقة من خلال مدخرات وخيرات الأمة وتاريخها ورسالتها وانجازاتها، والاهم تفعيل طاقاتها كما مر. وليس من الصحيح هو القول لا يمكن إصلاح ما أفسده الدهر، وإنما كل شيء قابل للإصلاح إذا وجدت القابلية وتعالت الاصوات وشيدت الهمم، وأهم سبل هذه الحلول هي تبني تلك الثقافة الإيجابية من خلال المراجعة الفكرية والنفسية والاجتماعية للتعرف على الاسباب وعلى البدائل

وبدراسة موضوعية ومن منطلق هذه القاعدة القرآنية ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[١]، ومن أهم بناء النفس هي الثقة سواء في الفرد أو المجتمع والأمة، وهو تجاوز وتخطي كل المبررات والاعذار التي تكبلها من الانطلاق. أما الوقوف عند هذه المبررات هو سبب الايقاع الهزيمة النفسية والأخرى أمام الواقع والتحديات بأن نكون ضعفاء. يقول الامام علي عليه السلام «ميدانكم الأول أنفسكم فان قدرتم عليها فكنتم على غيرها أقدر، وان عجزتم عنها كنتم على غيرها أعجز»[٢] وفي الحديث الآخر «رحم الله امرأً عرف قدر نفسه»[٣]. إذا علينا تجاوز الاشكاليات والعقبات وان كانت حقيقية. لأن السؤال الإيجابي والواقعي ماذا فعلنا وقدمنا نحن وبماذا ساهمنا في صنع الواقع الجديد؟

فالإنسان والامم إنما تحاسب بما صنعتها أيديها وليس ما صنعه الآخرون، إلا إذا تأثرنا وخضعنا لهذا الصنع، والواقع ليصبح جزءا من العادات والتقاليد والتراث البالي وعقبة في الطريق. وبذلك تصبح مذمة.

أما المهمة الحضارية للإنسان ولكل أمة هو قدرتها على التمييز بين ما هو خير ونافع وبين ما هو شر ومضر، فيجب تجاوز سلبيات الماضي والتفكير فلي إيجابيات الحاضر والتطلع إلى بناء المستقبل.

---

(١) الرعد ١١.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) نهج البلاغة.

ان ثقافة البناء هي التي تضعنا أمام الخيارات المفضلة والبدائل الصحيحـة والحلول الناجعة، وهو ما أشـار إليه القرآن وأكده يقول البـاري: ﴿وَأَنزَلْنَـا إليـك الْكِتَـابَ بِالْحَـقِّ مُصَدِّقاً لِّمَـا بَيْـنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَـابِ وَمُهَيْمِنـاً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنـزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أهواءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِـرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَـاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْـتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إلى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١].

والثقافـة السـليمة هـي التـي توفقنـا لاختيـار المفاهيـم والمضاميـن والمحتويات التي تتلاءم مـع عصرنا ومتطلباته بدون تحيـز ولا تفريـط ولا افراط، وهذه وإن كانت مهمة ليسـت سـهلة لكن ليست مستحيلة، متى قررنا واردنا فلا بد أن تكون هناك مشيئة للإنسان والأمة أن تقرر أولا حتى تبارك لها مشيئة الله يقول تعالى: ﴿وَمَا تَشَـاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَـاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، ﴿وَمَا تَشَـاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٣]، هذه هي حكمة الله سبحانه وسننه في الكون والحياة.

ولكـي نضع ذلـك في طـور التوضيح لهذه المشـيئة الربانية نقول:

ان الله أراد للإنسـان السـير نحو التكامل والأفضل، وأعطاه

(١) المائدة ٤٨.
(٢) التكوير ٢٩.
(٣) الإنسان ٣٠.

من الإمكانيات والقدرات وآليات الوعي والتمييز والفهم، من العقل والنظر والسمع شيء زود بالفطرة السليمة. ودله على طريق الخير والشر وهما النجدان، وهداه وذكره بالرسل، والآيات والشواهد كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، ويقول: ﴿عَلَّمَ الْإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

فماذا يبقى للإنسان حتى يتوقف أو ينشغل بغير الهدف المرسوم إليه؟ أو يتنازل عن مكانته أو حقه المشروع في البناء والتغير والإصلاح؟ إلا إذا كان هذا الإنسان أو الأمة سفهت نفسها، وانحرفت عن الجادة كما يقول تعالى

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخرةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]، فالفطرة السليمة والعلم والدين كلها تعضد مسيرة الإنسان ولا تتعارض أبدا بينها، وهو ما يؤكد على الالتزام والفهم الصحيحين يقول تبارك: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) النحل ٧٨.

(٢) العلق ٥.

(٣) البقرة ١٣٠.

(٤) الروم ٣٠.

إذا نحن «بحاجة إلى يقظة كي نعود إلى فطرتنا والى مراجعة كي نحقق إنسانيتنا والى ثقافة ولعم كي نسلك طريق البناء والتقدم، وحينها يصبح الالتزام بالدين حياة، والحياة في ظل الدين، ولا معنى لحياة بدون دين لأنه خروج عن الجادة المستقيمة وخروج عن دارة الحق وهو الضلال والزلل بين إفراط أو تفريط وهو المقصود بالسفه». وللتأكيد على هذه الحياة في ظل الالتزام بالدين وأنها تعني الإنسان قبل كل شيء مهما اختلفت الأمصار وتغايرت الأزمان والعصور هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إليه تُحْشَرُونَ﴾[1].

الدين والعصر الحاضر

فالإنسان هو الإنسان «لا تبديل لخلق الله» إنما الفارق بين الماضي والحاضر وحتى المستقبل هو في قدرة الإنسان لانتخاب الأفضل والاصلح واستيعاب الحقائق، وهذه هي مهمة العقل، فهو الرسول والحجة. ولولاه لما كان للرسالات والرسل قيمة فاعلة تذكر.

فالعقل هو أساس الاستفادة من كل شيء بما فيها الدين، وحينما يكون العقل عاطلا وجامدا فلا يستطيع أحد أن يؤثر على هذا الإنسان تأثيرا كما يريد، وما سبب كفر الإنسان وطغيانه واستكباره وتجاوزه للحدود إلا بسبب حجابه للعقل ونوره، ليعيش

---

(١) الأنفال ٢٤.

في ظلامات الجهل والأهواء والشهوات. من هنا جاء التأكيد على قيمة العقل ومكتسباته وتفعيله وتنميته، والتحذير من خضوعه إلى التأثيرات السلبية فتعيق دوره الخلاق، ففي تعريف العقل هو «ما اكتسب به الجنان وعبد به الرحمن» و «كم عقل أسير عند هوى أمير» وآخر «كم عقل أسير عند ابريق المطامع» «والطمع رق مؤبد».

وهنا بحاجة إلى توظيف العقل في القيام بمهماته الحضارية من أجل مكتسبات الإنسان وتحقيق أهداف الأمة، وفي كل عصر من خلال:

١ - الفهم الصحيح للدين وغاياته من القرآن والسنة المطهرة.
٢- الانفتاح على الفكر الإنساني
٣- الانفتاح على التجارب البشرية
٤- الاجتهاد واعمال العقل بالتفكير والتدبر والتأمل
٥- القراءة المستمرة للواقع ومعطياته
٦- النقد والتمييز للوصول إلى ما هو خير وأفضل.

ونجد في الإسلام لهذه الأبعاد والجوانب الشواهد الكثيرة التي تؤكد على دور العقل في عجلة وحركة الحياة نحو التقدم، لكن مع ذلك نجد الجمود والغفلة سمة لحياتنا طابعنا. نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل.

ثالثا- التفريق بين المصالح المشتركة وبين خصوصيات الأوطان:

من المشاكل في طريق الوحدة وبناء الكيان هو الواقع السياسي الذي أفرز الحدود والدول بين المسلمين وفي حياة الأمة،

والسـؤال كيف يتم التوافق في العلاقات بين الدول والمجتمعات الإسلامية، مع اختلافات الإمكانيات والثروات والعادات؟

وهنـا نجد آراء ونظريـات وتحليلات حول هـذا الواقع وما عليه وما ينبغي أن يكون:

١- فهنـاك النظـرة المثاليـة والتـي تؤكد على نظرة الإسـلام حـول مفهـوم الأمـة الواحـدة، بـأن لا يحدهـا حـدود ولا تفصلها الحواجز والسـدود، فهـذه النظرة لا تقر بالواقع أبـدا، بل ترى واقع الأمة السياسي اليوم هو العقبة بين الشعوب، وان هذه الفواصل بين الحدود ما هي إلا من صنع الاستعمار والسياسيين الذين لا يريدون خيرا للأمة ويحاولون أن يطمسوا هوية الأمة، ومع هذا العقبة يجب العمـل على إزالة كل الحواجز وتذويبهـا، فلا خيار في الأفق. ومن دونها لا يمكن تحقيق الهدف الإسلامي والحضاري.

٢- وهنـاك النظـرة الأخـرى هو العمـل بما يقتضيـه الواقع وحسـب الإمكانيات، وان النظرة المثاليـة وان كانت حقا وأصيلة لكـن يمكن تأجيلهـا في الوقت الراهـن، وهو أمر ليس مسـتحيلاً ولكنـه أمـر غير مسـتطاع، لأسـباب كثيـرة بعضها واضـح وجلي وأخرى تحتاج إلى وعي وإدراك من قبل الناس. وهنا يأتي السؤال كيف هو العمل والتوفيق بين النظرتين المثالية والواقعية؟

أولاً- تعميـق الوعـي الثقافـي والسياسـي، أي تسـليحهم بالثقافة الإسـلامية الصحيحة لدورهم وواجبهم نحو المثل والقيم

والمبادئ الإسلامية وحول مفهوم الأمة الواحدة، وكذلك الحديث عن أسباب التشرذم والتفكك والضعف الذي أصاب الأمة بسبب السياسات الخاطئة عبر التاريخ والحاضر.

ثانياً- الاهتمام بالمصالح الحيوية التي تتمتع به بلاد المسلمين من خيرات وكنوز، وذخائر لها تأثير ومساهمة في صنع واقع جديد وبناء الأمة، مما يعني السعي نحو تسخيرها والدفاع عنها، حتى لا تستغل من قبل الأعداء. ويمكن أن يتم ذلك من خلال بناء المؤسسات والمشاريع المشتركة والأسواق الموحدة كما هو موجود في الغرب.

وأمام هذه المصالح المختلفة بين البلاد الإسلامية والتفاوت يجب الاهتمام بالمصالح المشتركة والتعاون، أي تقوية كل المشاريع الحيوية في كل البلاد الإسلامية، وهذا يدعونا إلى التفريق بين الاهتمام المشترك وبين الحفاظ على الخصوصية لكل بلاد، وإلا سوف يتم الصراع والتناحر في ظل الواقع السياسي المحاصر، والشواهد كثيرة، على قيام الحروب والصراعات الدموية التي تحصد الأرواح وتستنزف الثروات وتحرق الأخضر واليابس بسبب التدخلات والنظرة المصلحية ذات البعد الواحد والافق الضيق، ولو كان هناك أفق واسع ونظرة ثاقبة لعملنا بمقتضى الحكمة وعملنا بالمبادئ الإسلامية التي تؤكد على الحب والتعاون والإخوة والتقارب والتواصل بدل الإفراط في الغيرة والحسد والأنانيات، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ

عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١].

ثالثاً- السياسات الحكيمة أساس الصلاح والانفتاح، وتأتي هنا أهمية السياسات الحكيمة من أجل تكريس مفاهيم الوحدة العامة وتقوية الكيان من خلال التواصل الحضاري وتبادل الخبرات والإمكانات وازالة الحواجز والفواصل بين الشعوب، مع الحفاظ على الخصوصيات، ومراعاة الأوليات والاهتمام بالانظمة والقوانين ذات الطابع الحيوي الذي يوفق بين مصلحة الوطن الواحد وبين مصلحة الأمة الواحدة، بين الكيان الصغير وهو الوطن وبين الكبير وهو الأمة، وهذا المفهوم هو اقرب إلى مفهوم الأسرة الواحدة، فكما يكون لكل فرد خصوصية فكذلك تجمعهم مظلة واحدة وهي الأسرة، واذا كان هناك تفاضل واختلاف في الإمكانات والثروات فذلك يرجع إلى طبيعة الحياة والهبات الالهية وحكمته في البلاد في أغلب الأحيان، ولكن ما يجب فعله هو ترشيد هذه القدرات والإمكانات بحيث تصب في مصلحة الجميع، مما يجب استغلال هذه الموارد بشكل صحيح وأمثل، وان تكون هناك مبادرات لتوسيع دائرة الاستفادة من خلال تعميمها لصالح الناس بل العالم كله باسره وهذه النظرة الإسلامية التي تراعي الاقتصاد والاحسان وتحرم الاسراف والتبذير، كما أن الإسلام يؤكد على مفهوم التسخير للنعم والطاقات بين ابناء البشر

---

(١) المائدة ٢.

جميعا دون استثناء وهو ما يسمى بقانون الاستخدام يقول تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

أما سياسات الانغلاق وعدم التفكير في احوال الناس والمسلمين بشكل خاص فهذه يرجع إلى السياسات المظلمة والاستبدادية التي لا تكترث إلا بمصالحها نفسها وليس بالمواطنين فضلا عن البلاد الأخرى، وهذه السياسات هي سبب من اسباب الازمات المختلفة الداخلية والخارجية لأنها لا ترتكز على مفهوم صحيح وأساس قويم، ومن أهم سلبيات هذه السياسات هو استغلال هذه الإمكانات والثروات في استعباد الناس والتأثير على سياسات الدول الأخرى والسيطر على سيادة تلك الدول، فهي تضرب كل المبادئ والأخلاقيات والقوانين عرض الحائط، فهي أي هذه السياسات لا تنفع ولا تقدم مصلحة بل هي ضارة في كل الاحوال وان تظاهرت للناس بالجميل والعطاء الذي يخفي وراءه المآرب والمصالح الخاصة، فهذا وان كان ينطلي على الكثير من الناس وأبناء الأمة لكنه لا يخفى على المتصدين والواعين والحريصين على مصلحة الناس، ومن لهم صولات وجولات في ميدان الحياة.

---

(١) الزخرف ٣٢.

بين حب الوطن والأوطان الأخرى

وإذا كان الإسـلام يؤكـد على حب الوطن، من أجـل الدفاع عنه وتسـخير إمكانياتـه والاهتمـام بخصوصياتـه التـي تربى فيها الإنسـان وأحاطـت بكل حياته، فهـذا لا يتعارض كليا مع حـب الناس والتعاون معهـم وتقديم ما يمكـن تقديمه من الخير والمصلحـة والمنفعة، وهذا ينطبق على الأوطان والبلاد الأخرى غير مسقط رأس الإنسان. وهنا تأتي أهمية التعاليم الإسلامية في قيمة البذل والعطاء والإيثار والتضحية.

وبالرغـم من وضوح هذه التعاليم الإسـلامية التي لا تحدها مصالـح وحدود وسياسـات، إلا أنهـا معطلة وتبقى هامشـية، وما ذلك إلا بسـبب تغييب الوعي الديني بشكل عام والسياسي بشكل خاص وكذلك لغياب السياسـات الحكيمة، وفي ظل السياسـات الحمقاء التي تتجاهل دور الدين والإنسان والأخلاق.

سادسا- النظرة إلى الشعوب

والإسـلام دين الاحضارة والرحمة فهو يؤكد على الانفتاح والتعاون والمعرفة بين الناس والشعوب المختلفة بشرط أن يكون ذلك من منطلق الاحترام المتبادل وكذلك على اسس صحيحة من العدل والمساواة والسعادة والفضيلة، وبناءا على ذلك:

لا يمنـع مـن قيـام العلاقـات الودية مـع الشـعوب والامم، وتبـادل المصالـح معهـم دون التدخـل فـي خصوصياتهـم مثـل

الطقوس الدينية والعادات والتقاليد، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١].

أن لا تكون هذه العلاقات على حساب المسلمين والأمة والاوطان، بان تسبب لهم مضرة أو ضعف فهذه امر مرفوض لأنه تقوية غير المسلم على المسلم، وهو ما نهى عنه القرآن ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٢].

نعم الإسلام يقر العلاقات وتبادل المصالح واحترام العهود والمواثيق التي تنشأ مع الشعوب والدول الأجنبية لكن على أساس الاحترام والمصالح المشتركة، وليس من واقع الضعف والخضوع والتبعية السياسية والاقتصادية أو في أي جانب فهذا ما ينهانا الله عنه لما فيه من إذلال ومهانة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[٣].

القوى الكبرى في العالم اليوم أساس للظلم والاستعباد

وإذا كانت سياسة الإسلام تؤكد الانفتاح وتبادل المصالح

(١) الممتحنة ٨.

(٢) النساء ١٤١.

(٣) النساء ٩٠.

والدعوة للحوار في كل الشؤون وتحرص على هداية الناس[١].

فإن القوى الكبرى في العصر الحاضر والتي تتمثل في الخمس الـدول (وهـي فرنسـا - أمريكا - السـوفيت - الصيـن - اليابان) في مجلس الأمن وكذلك الغرب المادي الذي يدور في فلك أمريكا هم ضـد هذه القيم والمبادئ وهم وان كانوا يفتحون بلادهم للمسـلمين ويقدمـون اللجـوء السياسـي لهـم ويفتحـون جامعاتهـم لاسـتقبال المسـلمين والاستفادة كذلك من خبراتهم وكفاءاتهم لكن سياساتهم الخارجية وتعاملهم مع المسلمين والعالم يعكس أهدافهم وخططهم الاستعمارية ونواياهم الخفية ويمكن معرفة ذلك من خلال أمور:

أولا - احتكار المعرفة وقواعد وأساسيات العلوم الطبيعية

ثانيـا- فـرض الهيمنـة والقـوة مـن خـلال التفـوق العسـكري والتكنولوجي. وتأييد الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة.

ثالثـا- اسـتغلال ونهـب ثـروات العالـم عبـر السياسـات والخطـط والمشاريع، والمؤسسات العالمية مثل صندوق النقد الدولي،

رابعا- التدخل في البلاد الإسلامية بدون مبرر وقبول.

خامسـا- محاربـة كل الحـركات الإصلاحيـة والمشـاريع التنموية في البلاد العالم والإسلامية بشكل خاص.

(١) مثال اللجوء السياسي حيث تختلف النظرة في قضية اللجوء السياسي بين المدرسة الإسلامية وبين دول الغرب المادي، فاللجوء إلى بلاد الإسلام إلى الهداية والحوار، بينما في الغرب هو الاستغلال والسيطرة يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة ٦.

كل ذلـك يدعونا إلى المراجعة السياسـية في العلاقات القائمة والمسـتقبلية، لأنهـا علاقات غير محترمـة وغير عادلـة، وان التفكير الجدي والمسؤول هو محاولة التملص والتراجع من كل المعاهدات والاتفاقيات التي تخدم تلك السياسات المصلحية، والتساؤل المهم ماذا جنينا وجنت الأمة من هذا العلاقات، ومع دول الاستعمار؟

فلسطين الجريحة[1]

وخيـر شـاهد علـى العصر هـو ما يحصـل في فلسـطين من احتـلال سـافر وقتل للنـاس وللأبرياء العزل من الأطفال والنسـاء والمدنيين وهدم للبيوت وقلع للأشـجار ونهب للممتلكات، وهو يحصل أمام مرأى من العالم والمنظمات العالمية.

إن الإسـلام والقـرآن صريـح في هذا الشـأن ويعتبـره خيانة عظمى ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّـن دِيَارِكُـمْ وَظَاهَـرُوا عَلَـى إِخْرَاجِكُـمْ أَن تَوَلَّوْهُـمْ وَمَـن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

من هنا لا بد من وضع السياسات الحكيمة والخطط السليمة

---

(١) وأنا اكتب هذه السطور استحضر الأحداث الجرائم والظلم الذي يقع على غزة في فلسطين، مع تخاذل الصف العربي والإسلامي، وهو تعبير عن حال الأمة وما وصلت إليه من مصير ونكبة، ويرجع ذلك لما اشرنا إليه من السياسات الحمقاء والظالمة والتبعية للغرب.

(٢) الممتحنة ٩.

التـي تحررنا من قيود وضغوط هذه العلاقات الاسـتعمارية والتي تكبلنا وتؤسرنا، لأنها:

١- تستهدف قبل كل شيء ديننا القويم والإسلام العظيم.
٢- وكذلك الاستيلاء على مقدرات الأمة.
٣- تكريـس واقـع الأمـة المتخلـف مـن خـلال سياسـات ومشاريع التبعية لهم وفي كل شيء.

إن خيرات الأمة وثرواتها وإمكانياتها يجب أن تسخر لأبنائها مـن أجل ضمان مصالحهم وكذلك للقضـاء على عوامل التخلف مثـل الفقر والجهل والأمراض المتفشـية، وذلـك لا يكون إلا من خـلال السياسـات المسـتقلة والقادرة علـى إدارة العبـاد والبلاد، وليس من أجل احتكار الثروة وتبديدها وتسخيرها للعدو. إن قيام أي تعاون أو علاقة لا تراعي مصلحة المواطنين والأمة فهي جريمة وظلم لا يجوز السـكوت عنه، وهـي خيانة للدين والوطن والأمة. فهل نعي هذا الدور، أم ننتظر المصير في الدنيا وفي الآخرة.

سابعا - التأكيد على قيم ومبادئ التمدن والحضارة:

قـد يقـف الإنسـان منبهرا ومندهشـا أمـام إيقاعـات العصر الحديث حيث التقـدم الهائل الصناعـي والتكنلوجي والمعماري ووسـائل الاتصال والانفتاح حتى أصبح العالـم كالقرية الواحدة، وتلاشـت معها كل الحواجز والسدود والخصوصيات، بل العالم اليـوم يطالب بالعولمـة فتنعدم في ظلها كل الحساسـيات للأديان

والهويات والثقافات.

لكن أمام هذا المطلب والحلم وهو (العولمة) وذلك التقدم الهائل تبرز وتطفح على السطح مشاكل خطيرة، وتتفاقم من العيوب والثغرات، إلى درجة شعور الناس بالغربة وعدم الانتماء إلى هذا العالم، فما خصوصية هذا التقدم وهذه العولمة؟

نعم خصوصية هذه العولمة وذاك التقدم انه يشيد على بعد مادي، فلا يعترف بالقيم والروحيات والأخلاقيات، إنما الهدف والاهتمام ينصب حو تحقيق الرغبة المادية الجامحة والطمع والاستئثار بالثروة والطلب المتزايد على تلبية الرغبات وتحقيق أكبر قدر من الشهوات. فليست المشكلة في مكتسبات هذا التقدم من العلم والتكنولوجيات والصناعات، كلا بل لا بد أن نشيد بها ونستفيد منها، لأنها نعم من الله سبحانه، وجهود بذلت وتضحيات في سبيل تحقيق ذلك، لكن ما يؤخذ على ذلك هو في تغييب البعد الروحي والمثل والقيم والمبادئ التي تسمو بالإنسان، وتحل وتنوب عنها الروح المادية، فتنصبغ الحياة بكل قيمها، ومعها لا نشعر بوجود أو تقدم على صعيد بناء الحياة الإنسانية والمدنية والحضارة التي يتطلع الإنسان وتسعى لتحقيقها الشعوب والمجتمعات. فليس الخوف من قيام المدنية والقرية الواحدة إنما من الاستغلال السيئ والسعي نحو الأهداف والمآرب الخبيثة والوسائل المنحرفة.

إذا لا بـد من توضيـح وتوظيف لمفهـوم المدنية والحضارة حتـى نسـتطيع أن نواجـه الحيـاة مـن خلالهـا ونقضي علـى تلك المشـاكل الخطيرة ونتخلص من تلك العيوب ونسد تلك الثغرات ونواجـه التحديـات، لا أن نواجهها ونعترض عليها، بعد أن تصبح مشكلة وأزمة حضارية بذاتها.

المدنية المزيفة:

ومـن أجـل ذلك نشـير إلـى أهـم الأبعـاد والجوانـب التي تفتقدهـا المدنيـة اليـوم، ومـا تنطـوي عليه سياسـة العولمـة التي يخطط لها الماديون وأصحاب السياسـات الخبيثة للدول العظمى في العالم وعلى رأسـها أمريكا، فهي صاحبة المشـروع والمبادرة والفعل، ومن خلال ذلك نكتشف تلك الأمراض الخطيرة والقاتلة والمدمـرة، ليس فقط للحياة الإنسـانية بل أيضـا القضاء على تلك المكتسـبات والانجازات التي تحققت فـي عصرنا الحاضر وهذه الجوانب هي:

أولا- ضعف البعد الروحي

ثانيا- محو رسالة الأخلاق المثالية

ثالثـا - غياب رسـالة الحوار بين الإنسـان والآخر والأديان والحضارات.

فـلا أحد يعتـرض على وجود مدن مزدهـرة تتوفر فيها أرقى الوسائل والخدمات من الابنية الشاهقة والطرق المعبدة والجسور

العالية والانفاق الواسعة والحدائق القانية ووسائل النقل والاتصال السريع والمتطور، فذلك خير، ولا أحد من العقلاء والمنصفين يقول بأنه شر إلا من احتجب عن رؤية الاشياء أو غاص في أوحال الجهل والتعصب. ولكن السؤال هو

- ما هو دور هذا الإنسان فيها، ومساهمته في عملية البناء وهذا التقدم.
- ما هو تأثير هذا التقدم على ايمان الإنسان وروحه.
- ما هي العلاقة في ظل ذلك بين الإنسان واخيه الإنسان.
- ما هي العلاقة الإيجابية في الاستفادة وتسخير هذا التقدم لسعادة الإنسان.

والجواب وفي ظل هذه الروح المادية والمبادئ الهدامة إن هذه الابعاد غير مهمة وليس لها تأثير في التقدم، وهذا ليس ادعاءا بل هو يتجلى من خلال انعكاسات هذه الحياة المادية والسعي نحو تلك الأهداف المرسومة وهو تحقيق الرغبات والشهوات بلا قيود والسيطرة على العالم بلا حدود. والخلاصة أن الإنسان في ظل هذه الحضارة والمدنية يهدف إلى شيء واحد وهو الرفاهية المطلقة فهو يعيش من أجل ذلك، وهذا الخلق والتفكير مؤداه التشبه بحياة الحيوان، بل قد يكون اسوأ من ذلك لأن الإنسان والحال هو الذي يسعى ويحيك ويخطط إلى قتل وهلاك نفسه ودمار حياته وحياة الآخرين. وقد اشار القرآن إلى حقيقةهذا التشابه والمصيرالتي تؤول إليه يقول الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[١].

والآية تشير إلى الفارق بين مبدأين ومنهجين وسلوكين بين من يجعل الحياة الدنيا هدف وغاية وبين من يجعلها وسيلة إلى حياة أخرى، فالأول لا يتقيد بشيء وإنما يطلق العنان لكل قواه وطاقاته وتفكيره لتحقيق الشهوة والمتعة دون رادع ولا خوف من الله ولا التزام بقيم ولا أخلاق، وهو بذلك مستعد لأن يخوض الصراعات والحروب ويقتل الأبرياء ويهدم البيوت ويفسد الحرث والنسل في سبيل تحقيق هذه المتعة، وبين الثاني وهم المؤمنون بالله فهم يهدفون إلى حياة أخرى ويلتزمون بكل المبادئ الإنسانية والأخلاقية وما جاءت به الرسالات من شرائع وقيم وأهداف، فهم يعتبرون الحياة الدنيا وسيلة للصلاح والبناء والاعمار والتقدم ولكن بصبغة ايمانية وربانية تحقيق لهم الكرامة وتكرس في حياتهم العبودية لله فقط والسير على نهجه وهداه يقول الباري في وصف هذه الحياة **﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أحسن مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾**[٢].

خلاصة: إن الحياة الأولى هي حياة بلا روح ولا قيم، حياة جافة من المعاني والمشاعر والاحاسيس الإنسانية والتطلعات الخيرة، وهذا يشير إلى ضعف الايمان بالله سبحانه، وبسبب ذلك

---

(١) محمد ١٢.

(٢) البقرة ١٣٨.

تبقى هذه الحياة منحصرة في علاقة الإنسان مع ما هو كائن وموجود من انجازات مادية ورفاهية مطلقة ومتعة دائمة وشهوات عارمة، فكل ذلك يعتبر هو المحفز على تحقيق هذا التقدم وبناء المدنية المزيفة والعولمة الشاملة. وهذا ما يسعى إليه الغرب المادي الذي يفتقد إلى الايمان الصحيح بالله وكذلك إلى المناهج الروحية، وهو الذي يسعى أيضا إلى نشر هذه المبادئ ويحفز العالم الآخر عليها ويسعى أيضا إلى التأثير في الناس من خلال ما يبثه من قيم وثقافة وقيم هدامة، ويعتبر نفسه النموذج الامثل والذي يجب على العالم الانصياع إلى ما يقرره ويسطره من مناهج وسياسات ونظريات.

ومن خلال هذه السياسات وجدنا كيف أن الغرب ومن يحذو حذوه يسعى للسيطرة على العالم ونهب خيراته واستغلال موارده بكل ما أوتي من قوة عبر تنامي هذه القوة وتطوير السلاح والنفوذ إلى قلب العالم من أدناه إلى أقصاه من أجل تأمين هذه الحياة المادية وتحقيق المصالح الحيوية. وبذلك فهو لا يرتدع من أجل ذلك أن يقيم التحالفات والحروب والصراعات ويبطش بكل من يقف في وجه هذا الإرادة وتحقيق هذا المشروع. وهو يجسد المبدأ والشعار المشهور في ترجمة هذه السياسات والغايات «لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة ولكن مصالح دائمة» والسؤال ما هي انعكاسات هذه الروح على حياة الإنسان في العالم وعلى المدنية والحضارة؟

هـو مزيـدا مـن الانتكاسـات الروحيـة وفقـدان الايمـان وتفشـي الازمات وتفكك الروابط والاواصر بين ابناء البشـر وبين المجتمعـات وفقدان رسـالة المعرفة والتعارف بيـن الحضارات، وهـو ما يدعون في هـذا الوقت والعصر علـى ا لتأكيد على مفهوم المدنية ومقوماتها وسبل الارتقاء بها.

ان دعـوة الإسـلام على المدنية الإنسـانية لا تخفى على كل متطلـع ومنصـف عبـر التاريـخ، ولكن دعوتـه إلى ذلـك من أجل سـعادتها وديمومتها ورقيها نحو التكامل والعروج بالإنسـان نحو الله سـبحانه، فهو المثـل الأعلى يقول تعالى: ﴿لِلَّذِيـنَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخرةِ مَثَلُ السَّـوْءِ وَلِلّـهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ﴾(١)، وعنـد هذا المثـل يحدد الإسـلام مناهجـه وقيمه وأهدافه بشـكل واضح لا يشـوبه شـيء، وفي ظل ذلك يرقى بالإنسانية وتطلعاتها ويسـمو بأهدافها مبادئها ويسـعى لتحقيق ما يمكن تحقيق في هذه الدنيـا من بناء للإنسـان ومدنية فـي المجتمع وحضـارة للاجيال، خالية من عوامل الهدم والشرور والمنغصات، وبفضل ذلك تتحقق الرفاهية والتقدم والتطور المطلـوب. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّـا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢)، ويقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّـمَاءِ وَالأرض

---

(١) النحل ٦٠.

(٢) الحجرات ١٣.

وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[١].

وهنـا نكتشـف أن كل الازمـات فـي عالمنا اليـوم وعصرنا الحاضـر هـو بسـبب ضعف الايمـان باللـه والانحـراف عن تلك المناهج القويمة التي رسمها الإسلام، فمع التقدم الهائل والسريع والقفـزات الواسـعة علـى صعيـد العلـوم والتكنلوجيـا ووسـائل الاتصـال والانفتـاح نجد العالم يضيق ذرعا من ويلات المشـاكل والازمات الخانقة في كل ارجاء العالم من الفقر والفسـاد والدمار والامراض النفسية والفتاكة التي باتت تهدد العالم بأسره، وكذلك من جراء المفاسد الأخلاقية والثقافات المسمومه، كل ذلك يعطي مؤشـرا على الانحدار الحضـاري والمدني وليس علـى التقدم أو على المدنية الراقية.

وهذا ما يؤكـده القرآن ويحذر منه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٢]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـاكِنُهُمْ لَمْ تُسْـكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[٣].

ان التامـل للتاريـخ والـى حياة العصـر والواقع ومـا ينطوي عليـه كفيل بأن يضعنا نحو تلك الخيارات الصحيحة التي تجنبات الصدمات وما ينغص علينا الحياة ويسـليب منا السـعادة، ويركسنا

---

(١) الأعراف ٩٦.

(٢) طه ١٢٤.

(٣) القصص ٥٨.

فـي اوحال الجهل، كي ننخـدع بتلك الشـعارات البراقة ونندهش وننبهـر بتلك الانجازات الهائلـة وتؤثر علينا تلك الرفاهية والمتعة الزائلة.

وهنا ينبغي التأكيد والاهتمام ومن خلال تلك المحاور التي اشـرنا في مقومـات الحضارة والمدنية، ولا نكتفي فقط بالاشـارة إلى العيوب والثغرات والانعكاسـات من دور تلك الروح المادية وانعكاسات سياساتها وما أفرزته، بل التأكيد على البدائل والحلول والبنـاء بعـد الهدم وهو ما يؤكده الدين والإسـلام في تحقيق البنية السليمة والأرضية الصالحة، ولا يكتف بوصف الامراض واثارها وسلبياتها.

ومن أهم هذه المحاور والابعاد التي نحتاج إليها في العصر الحديث والتي ينبغي مـن الخطاب الديني الاهتمام بها والحديث عنها واسناهدها بكل الادلة والأساليب والمؤثرات هي:

اولا- البعد الروحي ودوره في رسم البناء والحياة الفاضلة:

١- الالتـزام بالعبـادات وخصوصـا الصلـوات الخمـس المفروضـة. ﴿حَافِظُواْ عَلَـى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْـطَى وَقُومُواْ لِلّـهِ قَانِتِيـنَ﴾[١]، ﴿وَاسْـتَعِينُواْ بِالصَّبْـرِ وَالصَّـلاَةِ وَإِنَّهَـا لَكَبِيـرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِـعِينَ﴾[٢] ومن كلام لعلي بـن ابي طالب عليه السلام يوصي

(١) البقرة ٢٣٨.

(٢) البقرة ٤٥.

أصحابه: تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين﴾(١).

٢- صلة الارحام وبالخصوص الوالدين قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾(٢).

٣- وبناء الجسور الحميدة والعلاقات الإيجابية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾(٣)، ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾(٤).

٤- التعاون بين الناس، وعدم الاكتفاء بالتواصل ﴿وَتَعَاوَنُواْ

(١) نهج البلاغة محمد عبده دار الفجر ٢٠٠٥م.
(٢) الإسراء ٢٣.
(٣) البقرة ٨٣.
(٤) النساء ٣٦.

عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْـوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَـدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]، ولتأكيد هذا التعاون بين الناس وبين ابناء المجتمع نحتاج إلى تكريس هذه القيمة من خلال تكريس المناهج المعرفية والثقافية وكذلك إلى الأنشطة العملية والمحفزات المادية والمعنوية والتي تساهم في تحقيـق هذا البعد الحيوي لكي يحقق أهدافه وثماره مثل:

أ- بناء المؤسسات المختلفة والتخصصية

ب- تطوير المشاريع الخدماتية في المجتمع.

ت- تحفيز الكفاءات والتخصصات ودعمها

ث- الاستفادة من كل الطاقات والإمكانيات والخبرات

ج- الاهتمام بدعم وبناء الأسرة الفاضلة

ح- الاهتمـام بمشـاريع وصناديـق الدعـم الاجتماعي مثل التزويج والقضاء على الفقر والبطالة

خ- بنـاء النـوادي المختلفـة الذكوريـة والأنوثيـة الفنيـة والرياضية والثقافية

د- الدعم المالي الميسر بديل عن البنوك الربوية والتجارية التي تستغل الإنسان وترهقه يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافـاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُـطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُـونَ﴾[٢]، ﴿مَـن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ

(١) المائدة ٢.

(٢) البقرة ٢٤٥.

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[(١)].

ذ- التأكيد على البذل والانفاق خصوصا للاقربين ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، مع مراعاة تأثير هذا الانفاق في الدنيا والآخرة والسعادة ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(٣)]، ويقول: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٤)] ويقول: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٥)]، وللتأكيد على قيمة الانفاق ودوره يقول تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(٦)]، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أحسن مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[(٧)]، بل يعتبر

(١) الحديد ١١.
(٢) البقرة ٢١٥.
(٣) البقرة ٢٦١.
(٤) البقرة ٢٦٥.
(٥) البقرة ٢٧٤.
(٦) الأنفال: ٣.
(٧) التوبة ١٢١.

الانفـاق مـن أهم الصفات الايمانية في شـخصية الإنسـان وبدونه يكـون هذا الايمـان ناقص ومبتور فـي صفة تتكامل مـع الصفات الأخرى الأساسية يقول تعالى ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِيـنَ عَلَـى مَـا أَصَابَهُـمْ وَالْمُقِيمِـي الصَّـلَاةِ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١]، ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَـنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُـورَى بَيْنَهُـمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُـمْ يُنفِقُونَ﴾[٣] وينبغي التحذيـر من عاقبة البخل والصـد والمنع والتثبيط يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيـمٍ﴾[٤]، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُـمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُـولِهِ وَلاَ يَأْتُـونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَـالَى وَلاَ يُنفِقُـونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُـونَ﴾[٥]، وقـد أورد اللـه سـبحانه سـورة كاملة فـي حق من يتهـاون ويتجاهـل ويتغافل عن هـذا الحق والـدور ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَـذِّبُ بِالدِّيـنِ فَذَلِـكَ الَّـذِي يَـدُعُّ الْيَتِيـمَ، وَلَا يَحُضُّ عَلَـى طَعَامِ الْمِسْـكِينِ، فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الذين هـم يرآؤون، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٦]، وعليه يجب تذكير الناس من أجـل تحقيق رضا الله سـبحانه أولا، وثانيا من أجل سـعادتهم في

(١) الحج ٣٥.
(٢) السجدة ١٦.
(٣) الشورى ٣٨.
(٤) التوبة ٣٤.
(٥) التوبة ٥٤.
(٦) الماعون ٧.

الحياة بتحقيق الامن والاستقرار والتغلب على مصاعب الحياة ومشاكلها، وثالثا لتحقيق المجتمع المدني والحياة الكريمة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١]، ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إلى أجل قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢]، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ثانيا- رسالة الأخلاق:

فالأخلاق في الإسلام مبدأ عام وثابت لا يتغير في كل عصر ومكان و لا يخضع إلى التأثيرات المختلفة والامزجة والعادات والتقاليد، وتكون مع جميع الناس بلا اختلاف وتمييز، حتى مع الاعداء وأهل الخصومات، لآن في الإسلام (الغاية لا تبرر الوسيلة) بل ينبغي التأكيد على الأخلاق في الظروف الصعبة مثل ساحات الوغى والاختلافات لتكون درسا ووعظا لهم وتأثيرا عليهم يقول الحق: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

(١) البقرة ٢٥٤.
(٢) المنافقون ١٠.
(٣) البقرة ٢٦٦.

أُوْلَئِكَ لَهُـمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١]، ويقول ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَـنَةِ السَّـيِّئَةَ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]، ﴿ادْفَـعْ بِالَّتِـي هِـيَ أحسـن السَّـيِّئَةَ نَحْـنُ أَعْلَمُ بِمَـا يَصِفُـونَ﴾[٣]، ويشـير القرآن إلى تأثيـر هذه الأخلاق والسـلوك الحضاري يقول الحق﴿وَلَا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٤]، وتشـير الآية اولا إلى الفـرق بين الحسـنة والسـيئة، أي بين منهجين بيـن الأخلاق واللا أخـلاق، وبيـن هـذه المنهجيـن تتميز شـخصية الإنسـان المؤمن الحقيقـي وغيـره في الحياة. فالإنسـان المؤمن يسـعى إلى تحقيق أهدافـه وتطلعاته من خلال الطرق المشـروعة والالتزام الصادق، أما غيره فلا، من هنا اشار القرآن إلى هذه الحقيقة، فحينما يتحدث عـن المنافقيـن يقول: ﴿فَمِـنَ النَّاسِ مَـن يَقُـولُ رَبَّنَا آتِنَا فِـي الدُّنْيَا وَمَـا لَـهُ فِي الآخرةِ مِـنْ خَـلاَقٍ﴾[٥]، أي القرآن يتحدث عن لسـان حالهم، بأن يسـعون إلى أهدافهم بلا قيود وضوابط وشـرع، وهذا يعكس انحراف عقيدتهم وضعـف ايمانهم﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّـا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخر وَمَا هُـم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٦]، وحين يتحدث عن لسـان حال المؤمنيـن الصادقين يقول: ﴿وِمِنْهُم مَّن يَقُـولُ رَبَّنَا آتِنَا

(١) الرعد ٢٢.
(٢) القصص ٥٤.
(٣) المؤمنون ٩٦.
(٤) فصلت ٣٤.
(٥) البقرة ٢٠٠.
(٦) البقرة ٨.

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخرةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١]، أي أن تحقيق أهدافهم لا يكون إلا عن الطريق المشروع وهو الحسن، لأن هدفهم وغايتهم الاخيرة هي الخلاص من النار.

ولذلك نجد اثر هذا البعد وهي الأخلاق بين المنهجين والشخصيتين في الحياة ومن خلال العلاقة مع الآخرين، فالإنسان المؤمن ينطلق من القلب المفعم بالحب للناس جميعا، من خلال الايمان الصادق والأخلاق الحسنة، فهو لا يقبل الإساءة لأحد أبدا، فيحترم ويقدر الجميع ويحاول أن يهدي ويصلح الجميع كذلك، لأنه يحمل رسالة الرحمة، أما القلب القاسي فهو الخالي من الرحمة والبعيد عن ذكر الله، فهذا القلب لا يعرف طريقا للحب ولا تقدير للناس، إنما هدفه الاخير هو نفسه ومصالحه، فهو وان كان مع الناس ويعيش معهم لكن ليس لشيء سوى المصلحة فقط، والذي هو لا يكترث لأحوالهم، بما يضمره من حقد وعداوات وضغائن وحسد، وهذا هو الفارق التي تشير إليه الآية المباركةَ ﴿اذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخرةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾[٢]، ويقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[٣].

---

(١) البقرة ٢٠١.
(٢) البقرة ٢٠٠.
(٣) البقرة ١٦٥.

والأخلاق هي التي تجسد مبدأ الرحمة وهي التي تعبر عن هذا الحب الصـادق وتترجم الايمان الحقيقي والواعي، والشـواهد كثيرة فـي التعريـف بهذه الأخلاق، نقتطـف منها، ما جاء على لسـان الامام زيـن العابدين عليه السلام فـي داعه المعـروف (بمكارم الأخـلاق) يقول: «اللهـم أبدلني مـن بغضة أهل الشـنآن المحبة»[1] ويقـول الامام علي عليه السلام في عهده لمالك الاشتر ووصيتها: «أشعر قلبك الرحمة للرعية ولا تكن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإن الناس صنفان أما أخ لك فـي الدين أو نظير لك فـي الخلق»[2] فما أجمل هـذه الرؤيه واهميتها وحاجتنا إليها في عالمنا المعاصر الذي وسـم بعالم الماديات وغلبت عليه المصالح والانانيات، وتخلى الناس فيه عن الأخلاقيات.

من أكد الإسلام على الأخلاق الإسلامية واعتبرها:

١ - أساس الايمان الصادق ومؤشر الوعي عند الإنسان

ففي الحديث «لا تنظـروا في الرجل إلى كثرة صلاته وقيامه ودندنته بالليل ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأدائه للأمانة»[3].

وفـي خطبة الرسـول صلى الله عليه وآله في شـهر رمضـان يقـول: «مَنْ حَسُـنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّـهْرِ خُلُقُهُ كَانَ لَهُ جَـوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَام»[4].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، ص١٠١.
(٢) نهج البلاغة، الوصية رقم ٥٣.
(٣) بحارالأنوار، ج ٩٣، ص ٣٥٦، باب ٤٦.
(٤) المصباح، الكفعمي، ص٦٣٣

٢- هي محط للتنافس بين الناس:

ففـي الحديـث «ليس الخيـر أن يكثر مالـك وجاهك ولكن الخيـر أن يكثر علمك ويعظـم حلمك»[١] وآخر «إن كنتم لا محالة متنافسين فتنافسوا في الخصال الرغيبة و خلال المجد»[٢].

٣- إن الأخـلاق هـي رسـالة الحـب للنـاس والتقـارب والتـوادد وهذا لا يحتاج إلى دليل واثبـات، إنما بحاجة إلى تطبيق وترجمان.

٤- إن سـوء الخلـق مـع النـاس سـبب للنفـور والقطيعـة والصراعات والفرقة، من هنا حذر الإسـلام من مسـاوئ الأخلاق واعتبرهـا من اسـباب رفـع البركة وتفشـي الظلم وانتهـاك حقوق الإنسـان، كما أن سـوء الخلق يضر بصاحبه قبل غيره يقول الامام علي عليه السلام: «مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَه»[٣].

٥- إن الأخـلاق هـي من أهـم سـمات المؤمن وشـخصيته ودعوته وتحقيق أهدافه وتأثيره على الناس، ويعني هذا أنه لا يكفي أن يكون الإنسان متعبدا ومتنسكا ويحمل رساله إذا كان يفتقد إلى الأخلاق مع الناس، من هنـا جاء التأكيد على الأخلاق، خصوصا لمن وضع نفسـه قائـدا واماما وداعية ومبلغا رسـالة الدين للناس،

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ٩٤.
(٢) غرر الحكم، ص٤٤٣.
(٣) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣١٨، باب ٢١.

ومن أجل ذلك مدح الله سبحانه رسوله ﷺ بالأخلاق ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، ويقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢]، ويقول: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

٦- كما أن الأخلاق سبب للنجاة والحصول على الدرجات الرفيعة في الجنان ففي الحديث «مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ امْرِئٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[٤] وآخر «أَفْضَلُكُمْ إِيمَاناً أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً»[٥].

خلاصة: مهما تحدثنا عن أهمية الأخلاق، فاننا لا نستطيع أن ندرك أثرها في النفوس والعقول والمجتمع وتحقيق التطلعات إلا من خلال التطبيق والتجسيد، كما أن نظرة واقعية لحياة الناس والمجتمعات والشعوب التي تلتزم بالأخلاق في حياتها وتعاملها، تقدم لنا رسالة حضارية، وان أي إنسان ومجتمع وأمة تفتقد إلى الأخلاق ليس بامكانها أن تعيش وتستمر مهما حملت من عقيدة وادعت الحقيقة والكمال ورفعت شعار التقدم، وصحيح قول

(١) القلم ٤.
(٢) آل عمران ١٥٩.
(٣) آل عمران ١٣٤.
(٤) بحارالأنوار، ج٧، ص٢٤٩، باب ١٠.
(٥) بحارالأنوار، ج٧٤، ص١٥٠، باب ٧.

الشاعر:

إنــمــا الأمـــم الأخـــلاق مــا بقيت
إن هــم ذهــبــت أخــلاقــهــم ذهــبــوا

آخيرا اننا بحاجة إلى التذكير بالأخلاق الإسـلامية في القول والفعـل والممارسـة، والخطـاب الدعـوي هـو الابـرز والأوجه، حيث ترصد فيه الكلمة واللفظ والاشارات بكل دقة ويتم تحليلها ليس حسـب النوايا وحسـن الظن بالآخر وإنما حسب التوجهات والتصنيفـات والمذاهب والميولات، لتجـد الجواب وردة الفعل المعاكسـة والتعليـق بأسـرع مـا تتوقـع، لأننـا باختصـار في عصر السرعة وعصر التكلنوجيا المتطورة.

ثالثا- ثقــافة الحـــوار

وذلك من أجل

١- رفع مستوى الإنسان ووعي المجتمع.
٢- ديمومة الحضارة والمستقبل.

«وهنـا نحتاج إلـى ثقافة حياتية لتأكيد الحوار وأسـاليبه، في كل الجوانـب والابعاد لتصبح ثقافة شـاملة ومشـتركة، ولتكن لغة تفاهـم وتفهيم على حد سـواء، ليتسـنى للجميع جيـادة هذه اللغة بكل ترحاب ويسـر وسـهولة بدءا من الصغير والكبير وفي الأسرة والمجتمع والشـعوب وعلـى مختلف الصعد، الديني والسياسـي والاجتماعـي وهكذا، حينها نسـتطيع أن نتجاوز كل الاشـكاليات

التــي تتعلق بالعلاقة بين الإنســان وأخيه الإنســان، مهما كان هناك مــن تباعــد واختلافات واجتهــادات، كما أن الاضمــار والاحتقان والكبت يولد وســائل التطرف مثل التعصــب والعنف والإرهاب، لأنه يجهل لغة الآخر ولغته».

ولذلــك تشــتد الحاجــة إلــى ثقافــة الحــوار خصوصــا فــي المجتمعات الدينية، لما للدين من دور مهم ومؤثر في حياة الناس، في عقائدهم وتقاليدهم ورؤيتهم للحياة وللآخرين؛ ولذلك لم يكن من الســهل حتى على مستوى الرسالات الســماوية الكاملة والتي آثرت كل الأساليب والحجج والبراهين في اقناع تلك الاقوام إلى اتباعها وذلك يعود الســبب إلى الانغلاق وعــدم الانفتاح، فتصبح العقليــة متحجــرة والنفســية متصلبــة العــادات مترســخة، لا تقبل الجديد ولا البديل ولا الهدى والحق، كما أشار القرآن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُـواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْـهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَـيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَـا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُـولِ قَالُواْ حَسْـبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْـهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَـيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٢]، ونجد لهذا الانغلاق اثاره الســلبية علــى عقيدة الإنســان وتفكيــره، يقول تعالــى ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَــةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَــا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ

---

(١) البقرة ١٧٠.

(٢) المائدة ١٠٤.

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١]، بل قد يدافع عن هذه العقيدة والمواقف ويضحي من أجلها بينما هي خاطئة ومنحرفة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٢] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[٣].

ولهذا السبب يتأكد مفهوم الحوار وأهدافه وكذلك أساليبه المتبعة من أجل:

أولاً- احترام الإنسان وكرامته

فلأنه إنسان، فهو يمتلك الاستعداد للفهم والهداية ولغة الخطاب، واذا كان هناك من موانع، فذلك بسبب غياب لغة الحوار نفسها من حياته وقاموسه بسبب التربية والمحيط والسياسة، ولذلك نجد القرآن يخاطب الإنسان بما هو إنسان في البداية، لأستعداده الفطري ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾[٤]، لكن حجب الضلال المختلفة تمنعه من الاستجابه.

---

(١) الأعراف ٢٨.
(٢) لقمان ٢١.
(٣) الأعراف ٩٥.
(٤) الانفطار ٨.

ثانياً- تصحيح الأخطاء والانحرافات

فالحوار فرصة وارضية لكشف الأخطاء عند الإنسان مهما بلغ من العمر والعلم والمعرفة والتكامل، فغير المعصوم لا يمكن الادعاء بامتلاك الحق والحقيقة المطلقة، من هنا يشتد الحرص على الحوار والاطلاع من أجل التأكد من المعرفة التي يمتلكها الإنسان وكذلك لكشف العيوب والثغرات والأخطاء، مما يدعو الإنسان إلى الاستجابة والقابلية للحوار والمناقشات الإيجابية والانفتاح على الآخرين، وأن يكون متواضعا وجشاعا في تقبل الحقيقة والتمسك بها وعدم التكابر والغطرسة أو الجدال، فذلك من اسباب تفويت المصلحة وفرصة الاهتداء من هنا يؤكد القرآن على التواضع والشعور والحاجة إلى الحوار والتكامل: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1]، وهنا وقفة مع الآية المباركة للتذكير ببعض الحقائق:

ان الإنسان مهما بلغ فهو بحاجة إلى المعرفة والتكامل، والشعور بعدم الحاجة خلاف الصواب والتكامل.

ان الإنسان ولد وهو لا يعلم شيئا، وبذلك هو يتعلم ويتلقى من الآخرين، وقد يكون مصدر هذا التلقي غير صحيح. يقول

(١) النجم ٣٢.

تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

إن الإنسان يرتكب الأخطاء من الذنوب والمعاصي والانحرافات، فهو بحاجة إلى التوبة والرجوع والعودة إلى الله والصواب، ولا شك أن هذه الذنوب تمنع الإنسان من الهداية أحيانا خصوصا إذا كانت من الذنوب الكبائر، (وهذا يدعو الإنسان إلى مراجعة النفس دائما لكشف عيوبها في كل جانب الفكرية والنفسية والاجتماعية كي تخلص من الانحرافات المختلفة)

فيجب علينا احترام رأي الآخرين فينا، فقد تكون صحيحة، واذا كانت خاطئة فهي لا تضر (فالجوهرة لا تكون أبدا جمرة، والعكس كذلك)، واذا كان هناك حق وحقيقة نمتلكها فهذا يدعونا أن نحاور الآخرين ونبلغ رسالتنا، وندافع عن هذا الحق، بالأسلوب الحسن، وليس بالقوة وبالأسلوب الخاطئ، اما مصير ومواقف الناس من هذه الحقيقة فذلك يرجع إلى مسؤوليتهم، والله يوم القيامة يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

ثالثاً- ضرورة التسلح بالعلم والوعي والمعرفة الإسلامية الصحيحة

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

(١) النحل ٧٨.

مُّبِينٍ﴾[١] ويقول أيضا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، أن هذا الخطاب دعوة حثيثة للعلم والتعلم والتسلح بالوعي والمعرفة والاطلاع، والاهتمام بالمصادر المعرفة الصحيحة وفهمها وليس من أي مصدر آخر، وهذا يدعونا للتامل والتفكير كذلك في كل ما نتعلمه وندرسه ونقرأه، ولا نسلم بكل شيء إلا إذا وافق المصادر الأساسية من القرآن والسنة المطهرة، كما نجد في هذه الايتين مقومات التكامل في الشخصية الإسلامية والايمانية مثل اولا التزكية وثانيا العلم وثالثا الحكمة، وكل واحدة تكمل الأخرى، مما ينبغي أن نمارس كل الجوانب والابعاد في اثبات الحقيقة وكذلك الاهتمام بالأسلوب، بحيث إن فقدان جانب وواحدة يفقدنا الصواب والتأثير في ميادين المعرفة وفي الدعوة. ونجد أن القرآن يقدم التزكية على العلم، وكذلك يشير بان الحكمة تحتاج إلى تعلم فلماذا؟ يمكن الاشارة إلى ذلك: هو القول بان التزكية هدف وان كانت لا تحصل إلا بالعلم، بينما العلم وسيلة، كما أن الحكمة بحاجة إلى التعلم من خلال الفهم والواقع والتجربة والاستفادة من تجارب الآخرين. وهذا يؤكد على قضية الانفتاح والحوار لمعرفة من يمثل الحق والصواب، وليس بالانغلاق والتجمد والتعصب.

---

(١) الجمعة ٢.

(٢) آل عمران ١٦٤.

الحوار الديني الديني هو المطلوب

وقد يقال نحن نسلم بالاخذ بالقرآن والسنة المطهرة، لكن كيف نضمن الفهم الصحيح والصواب، فناك في حياتنا وواقعنا أديان ومذاهب ومشارب مختلفة، حتى في ديننا الواحد وكلها تمثل الدعوة إلى الإسلام وتدعي الحقيقة والصواب مع وجود الاختلافات الحادة فيها؟

والجواب: يدعو للتأكيد على الحوار ولغة الحوار نفسها، من أجل التعرف على طبيعة هذا الاختلافات من جهة، وعلى التعرف على الحقيق والتمسك بها من جهة أخرى، وهذا ما يتأكد في الدعوة إلى الحوار وأسلوبه في القضايا الدينية ومع الاديان أكثر من غيرها كما ذكرنا لتأثيرها وعمقها وكذلك ارتباطها بالمصير والحضارة، فيجب أن يكون هناك الحوار:

١- بين الاديان المختلفة (كالإسلام وغيره).
٢- في الدين الواحد (بين المذاهب المتعددة).
٣- في المذهب الواحد أي(في الاجتهادات).

ودعوة القرآن وأساليبه الحضارية واضحة المعالم لكل متأمل يريد الحقيقة وأسلوب حضاري، وقد أشار القرآن إلى دعوة أهل الكتاب وضرورة حوارهم بأحسن السبل والطرق يقول تعالى: ﴿ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أحسن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أحسن إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2] وهنا لنا كذلك وقفة وتأمل في الآيات:

١- الاهتمام بتبليغ الرسالة، لأنها دعوة حق، وهذا حق مشروع، وكذلك هو من حق وصالح الإنسان والبشرية. ولا يجوز لأحد أن يعترض على ذلك. بخلاف الدعوة للباطل لأنها ضد المصلحة وحقوق الإنسان العادلة. وأهل العلم والعقلاء يميزون بين هذه الدعوات. من هنا القرآن يشرع للدفاع عن المستضعفين وهم ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[3] ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[4].

٢- يجب أن تكون هذه الدعوة بالأساليب الحسنة وليست بالفرض والقوة والأساليب المستهجنة، وهذا يكون مع جميع الناس ليس هناك استثناء، وهو ما يطلق عليه بالحكمة، ثم بعد

---

(١) النحل ١٢٥.
(٢) العنكبوت ٤٦.
(٣) النساء ٧٥.
(٤) النساء ٩٨.

ذلك يمكن الحديث هو النصح والموعظة والغاية.

٣- يجب التأكيد على الحوار وهو (الجدال) مع أهل الديانات من أهل الكتاب مثل اليهود والنصارى والمجوس ومن ثبت بحقهم رسالة سماوية مثل الصابئة، وبالأسلوب الأحسن، مما يؤكد على الرعاية الكاملة والاهتمام بالدعوة والحديث معهم والسبب يمكن في:

وجود المشتركات في أساسيات العقيدة مثل الايمان بالله وكذلك بالرسالة التي كانت لهم، والمصير والمعاد، وهذه تعتبر أرضية صلبة، أما من لا يؤمن بذلك فهم كافرون، وهو ما يدعو إلى التمييز بين المشركين الكافرين وبين أهل الكتاب المؤمنيين، كما اشارت إلى ذلك سورة البينة فتدبر.

٤- إن التأكيد بصيغة أفعل التفضيل لا يعني بأنهم يستحقون ذلك من الاهتمام عن غيرهم، مثل المسلمين والمؤمنين، كلا، ولا كن يمكن القول بأن الاختلاف بين المسلمين في زمن الرسول ص لم تكن ظاهرة، مثل ما ظهرت بعد ذلك، فظهور المذاهب المتعددة إنما ظهرت في القرن الثاني للهجرة وبالتحديد في زمن الصادقين (الباقر والصادق) عليهما السلام. وعلى القول بوجود الاختلافات بين المسلمين فيما بعد، هي أهون لكثرة المشتركات وقلة الفوارق، لكن غياب لغة الحوار اصبحت اشد واصعب في بعض الحالات من غيرها.

٥- إن انحراف أهل الكتاب كان بقصد، بسبب العلماء وهم الرهبان والقساوسة، حيث حرفوا الكلم والحقائق، فهم مظلومون وعاشوا تحت هذا التأثير والتعصب والخلافات، وبذلك أصبحوا ضحية الخطاب والدعوة، وقد اشار القرآن إلى هذا الدور الشيطاني الخطير: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1] ولولا ذلك ما كان هذا الصدود، ولذلك نجد قسما منهم* لم يتأثروا بذلك، وآمنوا برسالة الإسلام وصدقوا بالرسول ص حين الدعوة ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2].

٦- من هنا كان الرسول يدعوهم ويحاورهم، وكان يحاول ايقاظ الضمير في علمائهم مثل ما حصل في المباهلة* التي أشار إليها القرآن ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[3].

ولذا لقد استثنى القرآن من هذا الحوار اولئك الظلمة، وهم القسم الآخر، وهم الذين يعرفون الحق لكنهم لا يقبلوه

(١) آل عمران ١٨٧.
(٢) آل عمران ١٩٩.
(٣) آل عمران ٦١.

مثل السياسيون وعلماء السلاطين واصحاب الصالح والاطماع، فالحوار مع هؤلاء لا يجدي نفعا وليس له تأثير، وهي حالة مستثناه من الحوار وكذلك من الدعوة والامر بالمعروف. فلا بد من التمييز كذلك في الدعوة للناس وللشعوب. فعادة الحكومات تقف ضد من يقف ضد مصالحها الخاصة. ولذلك من الطبيعي تمارس منع كل الوسائل والسبل التي تحاول ايقاظ الضمير والهداية وايصال صوت الحق وكشف الزيف.

كما ينبغي في كل الحوارات والحوار مع أهل الكتاب بالخصوص لتلك الاسباب السابقة من التأثيرات من خلال الجوانب المشتركة التي تمثل القاعدة الأساسية، وهو تجسيد للحكمة في الآية السابقة، وكثيرا في الحوارات يغفل عن ذلك، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

والحقيقة الأخرى في كل الحوارات هي الإنصاف والعدل وعدم الجور، بأن يجعل المحاور نفسه في منزلة سواء مع الآخرين مهما يعتقد انه مع الحق، وهي دعوة للتأمل في خلق الحوار ومبدأ الرسالة الإسلامية، ولقد جمع الله سبحانه بين الجانبين، أي الإيمان بالمسلمات والمشتركات﴿ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) آل عمران ٦٤.

وَالأرض قُـلِ اللَّـهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١]، وهـو أكثـر دقة وأبلغ مـن القول المشـهور «قولي صـواب يحتمل الخطأ، وقولك خطأ يحتمل الصواب» تدبر.

رابعاً- الحوار من أجل الكشف عن اسباب الزيف والتحريف والانحراف:

بالرغـم أن القرآن وعد الله بحفظه مـن التحريف حيث قال ﴿إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُـونَ﴾[٢]، إلا أن مفاهيم الدين والمعانـي وأبعادهـا ومـا تنطوي عليه مـن حقائق وآثـار تعرضت أيضا للتحريف والتطويع وارتبطت بالمصالح، وكذلك هي السـنة تعرضت أيضـا إلى التحريف الكامل (أي فـي الأصل والمعنى)، إلى درجة التشويه للصورة الناصعة للإسلام.

ولقـد حـذر القـرآن مـن التحريـف بشـكل كامل سـواء في الكتابـة والاصـل أو فـي المعنـى والمفاهيم، لخطورة هـذا الدور وتأثيـره على الإنسـان والمجتمعـات والأمة وكذلك في المسـيرة الحضارية، فكما شنع القرآن تحريف الرسالات السماوية السابقة مثل أهل الكتـاب، ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّـاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَـهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْـتَرَوْاْ بِـهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْـسَ مَا يَشْـتَرُونَ﴾[٣]، فهوأيضا وجه هذا التحذير للأمة، بشـكل

---

(١) سبأ ٢٤.

(٢) الحجر ٩.

(٣) آل عمران ١٨٧.

أشد لأنها رسالة خالدة وأبدية، وان التحريف لرسالتها هو تحريف للاجيال على مر العصور والازمان، فكيف ينظر الله والقرآن لهذه المهمة الخطيرة أي التحريف والتزييف والتضليل لرسالة الإسلام والأمة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾[3].

وهذا التأكيد والتوجيه يؤكد على قابلية ووجود الانحراف في حياة الرسالة والأمة، والى نفس الاسباب التي ذكرت هناك، وهو ما حدث بالفعل والشواهد كثيرة لا حصر لها[4]

(١) البقرة ١٧٤.
(٢) آل عمران ٧٧.
(٣) النساء ٤٤.
(٤) أعيان الشيعة للعاملي ج ١ ص ٣٣٤ : أمر معاوية وعمرو بن العاص معه وهما من الصحابة معلوم وجملة من الصحابة كانوا منحازين إلى بني امية يمالؤونهم ويداهنونهم وينالون من دنياهم ويلون لهم الأعمال كالنعمان بن بشير وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وامثالهم وجملة منهم اخذوا الأموال الطائلة وولوا الولايات الجليلة ليرووا لبني امية في ذمة ما شاؤوا مثل أن آية

ولآثار هذه المهمة الخبيثة والدور الخطير في خط الرسـالة والأمـة نجـد التحذير في أعلـى مسـتوياته وفي قمتـه، ويكفي مع ذلـك انه من غضـب الله سـبحانه، فنجد التفصيـل والدقة في هذا الجانب:

١- يشير الباري أولا إلى الدافع وراء هذه المهمة من كتمان الحقيقة والمتاجرة بها هو الحصول على المال والثروة، وان الغاية هو تضليل الناس.

٢- إن هـذه العمليـة والصفقـة هـي مهما بلغت مـن مردود وكسب وربح في الدنيا وهو (الثمن) فهو قليل كجزاء فعلهم قياسا إلى العذاب الذي ينتظرهم في الآخرة.

٣- إن مصير هؤلاء هو جهنم وبئس المصير.

٤- والاشـد مـن ذلـك هو سـخطه عليهـم وغضبـه فهو لا يكلمهـم، ولا ينظـر اليهـم ولا يزكيهـم. فهـم محرومـون من هذه

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب . حكى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الاسكافي أنه قال أن معاوية بذل لسمرة بن جندب وهو صحابي مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾ فلم يقبل فبذل له اربعمائة ألف درهم فقبل. راجع الغدير للاميني لمعرفة المزيد من الشواهد.

العناية والرعاية والرحمة، وليس هناك واسطة، تنفعهم اطلاقا لأنهم لا يستحقون، فكل من هذه الكلمات الثلاث لها ايحاءاتها وتأثيراتها.

٥- وفي الاخير فان جهنم ليس هي المأوى الاخير وإنما أيضا ينتظرون العذاب الأليم. فهل هناك من يعتبر؟

هذا في القرآن أما في السنة فتحدثت كثيرا عن علماء السوء الذي يتاجرون بالحقائق والدين والكلمة فعن علي ع عليه السلام «ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار»[1]، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «طلبة العلم ثلاثة فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه فهو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره وصاحب الفقه والعقل وكآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه و قام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه فشد الله من هذا

(١) الكافي، ج١، ص٤٧.

أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه»[١]. ويقول أيضا: «العلماء باقون ما بقـي الدهر أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. ها، إن ههنا لعلما جما (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملة، بلى أصبت لقنـا غير مأمون عليه، مسـتعملا آلة الدين للدنيا، ومسـتظهرا بنعم الله علـى عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقادا لحملة الحق، لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة. ألا لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذة، سلس القياد للشهوة، أو مغرما بالجمع والادخار ليسـا من رعاة الدين في شـئ. أقرب شيء شبها بهمـا الأنعـام السـائمة، كذلك يمـوت العلم بمـوت حامليه اللهم بلـى، لا تخلـو الأرض من قائم للـه بحجة. إما ظاهرا مشـهورا أو خائفا مغمورا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته. وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عددا والأعظمون قدرا. يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى. أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه. آه آه شوقا إلى رؤيتهم»[٢].

ونتيجـة لذلك: فان هذه القابليـة والانحراف تؤكد على قمة وأهميـة الحوار، وهو النوع الثاني (الحـوار في ظل الدين الواحد)

---

(١) الكافي، ج١، ص٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج٤، ص٣٦ - ٣٧.

حيث تعدد المذاهب والمدارس الفقهية والفكرية * حيث نجد بسبب ذلك التحريف الهوة الواسعة بين الاختلافات * والفوارق إلى درجة التجريح والسب واللعن والخروج عن الملة. وهذا يدعونا إلى الحوار نفسه ولغة الحوار مهما اتفقنا على الكثير من المشتركات بل إن لغة الحوار أهم من تلك مع أهل الكتاب، فهم أقرب إلى الملة وفيها.

وهناك لا بد من أجل تسويق أهمية الحوار وفي ظل الدين الواحد وهو الإسلام المقصود، نحن بحاجة إلى آليات ووسائط، من أجل تذليل العقبات وتسهيل المهمات:

١- التأكيد على أهمية الحوار كثقافة مشتركة حياتية.
٢- ضرورة التواصل والتقارب، بدل التباعد والتفرقة.
٣- نبذ العصبيات والتخصاصم والتشاحن والتفرقة.
٤- التطلع حياة مشتركة أفضل من أجل السعادة والواقع والمستقبل.
٥- تبادل الثقة بين الجميع، والإحساس والشعور بالمسؤولية والمصير الواحد،
٦- الشعور بالخطر الذي يهدد الجميع من قبل العدو للامة.

ومن خلال هذا المنطلقات والبواعث المشتركة تنطلق بوادر الحوار ولغة الحوار و تكريس أهدافه من خلال:

١- الاهتمـام بالكفاءات والشـخصيات القريبة التي تمتلك الاستعداد وروح الحوار.

٢- توسيع رقعة ومساحة الحوار ليكون شاملا إلى اكبر قدر ممكن من أبناء الأمة.

٣- الاهتمام بثقافة الحوار وذلك بالاهتمام بشريحة الشباب فهـم يملكون القابلية أكثر مـن غيرهم، وكذلك هم أبعد من التحسسات التي ترسخت في اصول الكبار.

٤- الاهتمـام بثقافـة الحوار عبر وسـائل الاعـلام المختلفة السمعية والبصرية.

٥- إنشـاء مراكـز ومؤسسـات لتأكيـد علـى الحوار بشـكل متواصل لأثراء الحياة الاجتماعية بثقافة الحوار.

٦- الدعـوة للاطـلاع علـى مصـادر المسـلمين المختلفة، والاهتمام بتواجدها في كل المحلات.

٧- التشـجيع علـى هـذا الاطـلاع والبحـوث والتأمل، من خلال المكتبات والمراكز والنوادي المخصصة.

٨- ومن خلال ذلك، يفسـح المجـال لتقديم البحوثات في هذا المجال والاهتمام بها ودراستها والتحقيق فيها.

٩- الغـاء ومحاربة جميع أنواع التمييز في البحوث وكذلك في الكتب والمصادر.

١٠- تبنـي حوارات جـادة بيـن المذاهب وإيجابيـة لتكون قدوة ونموذج للآخرين.

١١- محاولة سـن التشريعات والقوانين التي تتكفل بإرساء

قاعدة الاحترام المتبادل وحق المعرفة بين الجميع، وكذلك سن قوانين تجريم من يخترق هذه القاعدة بدون مبرر وسبب.

١٢- اهتمام ترسيخ ثقافة الحوار في المناهج المدرسية والتعليمية والمعاهد والنوادي، حتى تصفو الإجواء من التعكير والحساسيات والمبالغات.

١٣- التقدم دائما بمبادرات وتوجيهات متعددة وشاملة كي يتقدم الحوار خطوات إلى الأمام.

١٤- ومن أجل لا بد من محاصرة أي نوع من انواع التراجع عند حدوث مشاكل أو ازمات أو أخطاء.

١٥- الوعي الحقيقي للتأثيرات السلبية للسياسات وانعكاساتها.

١٦- التقصد دائما إلى جمع الكلمة والموقف من خلال المناسبات ومن أهمها هو الصلوات، فهي التعبير الحقيقي والمصداق إلى هذه الوحدة.

١٧- محاولة تصفية المصادر الإسلامية من كل ما يعكر هذه الوحدة، دون المساس بمبدأ الحوار، الذي يهدف إلى توضيح الحقائق وسبل الاهتداء إليها.

١٨- الاستفادة القصوى من وسائل الاتصال والانفتاح بالتأكيد على الكلمة الطيبة والحوار الحسن والاحترام المتبادل.

١٩- تقديم شعارات ودعايات ولا فتات في المناسبات

والتجمعات على أهمية التواصل والحوار مثل ما يكون في الرياضة بالترويج إلى المبيعات والأنشطة المختلفة.

الاجتهادات في الدين ضرورة حضارية:

وهنا يتساءل البعض، لماذا أيضا يكون الاختلافات في المذهب الواحد، وهنا نقول: «بأن هناك فرقا بين الاختلافات الناجمة من الاجتهادات المحقة والمستحقة وهي التي تبحث عن الحق وبموضوعية مجردة عن الأهواء والعصبيات والميولات وكذلك من مضانها الصحيحة وبين تلك الاختلافات البعيدة عن الصواب وبعيدة عن البحث الجاد والتنقيب الموضوعي والهادف والتي تنطلق عادة من التعصب وقلة الإحاطة بالمصادر، كذلك بسبب الميولات والاملاءات» وهنا استحضر قول الامام علي عليه السلام: «فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه»[١].

والاجتهاد مطلوب على كل المستويات لأنه أساس الحركة والتطور والابداع والتقدم في العلم والمعرفة والحياة، وبدونه يتعطل التفكير ويحدث الجمود ويقتل الابداع. ولقد حث الإسلام على التفكير وجعله أفضل العبادات «لا عبادة كالتفكر»[٢] وآخر

(١) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج١، ص١٠٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٢٤.

«لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ»[١]، «لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصِّيَامِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ»[٢]، ولقد أكد القرآن على ممارسة التفكير مع العبادة من أجل تحقيق المعرفة الكاملة والتكامل للوصول للغاية ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣].

وينبغي الاجتهاد كضرورة لا يختصر على البعد التشريعي فقط وإنما يشمل المفاهيم والمعاني وكذلك في النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكل ما يحتاجه الناس مثل الوحدة الوطنية و اهمية الحوار، حوار الحضارات وغيرها، بمعنى آخر أن يكون الاجتهاد والبحث شامل لمتطلبات وحاجات الأمة والعصر، وليس يعتمد في ذلك على التحاليل والأفكار الجاهزة أو الاعتماد على المتطفلين من إنصاف العلماء والمتخصصين.

وهنا يتأكد الحوار أيضا وهو النوع الثالث أي (في المذهب الواحد) من خلال عملية الاجتهاد مع فرض التوافق على الاسس والمناهج والمصادر. «فليس لأحد بعد التخصص وبذل الجهد أن يصادر رأي الآخر، أو يحاول الطعن فيه بدون حجج وحوار وكشف للحقيقة».

(١) بحارالأنوار، ج٢، ص٤٩، باب ١١.
(٢) بحارالأنوار، ج٦٨، ص٣٢٥، باب ٨٠.
(٣) آل عمران ١٩١.

وللاسـف نجد حتى هذا النوع لم يسـلم مـن الصراعات أو المشـاحنات والتجاذبات، وعلى سـبيل المثال فنجد في المذهب الشـيعي الذي يتمتع ويتميز عن غيره بالاجتهـاد وضمن الضوابط المعروفـة عند أهل المذهب هو الاختلاف في نظرية ولاية الفقيه، فهي من المسـاءل العصرية المهمة والتي شـغلت الساحة الفكرية والفقية والسياسـية، فهناك من يقول بها نيابة عن الامام المعصوم، وهنـاك لا يقرهـا ويحصر ولايـة الفقيـه بولاية الحاكم بـأن يكون ولـي من لا ولي لـه (أي الولاية على القصر) وبالرغم انها مسـألة اجتهاديـة، لكنهـا خضعت إلـى التأثيرات والممارسـات السـلبية وكان الاجدر مناقشـة الادلة، وتربية الناس على قيمة الاجتهاد في ظل الدين والمذهب وادب الحوار. وحرية التعبير والممارسة.

الفصل الثالث

نهضة الحسين عليه السلام والقضية المركزية

فنجد هناك اهتماما بابراز شخصية ونهضة الحسين عليه السلام على انها قضية مركزية، وهذا واضح من خلال التأكيد عليها في السنة والسيرة وفي كل المناسبات الإسلامية، فزيارة الامام الحسين عليه السلام بالخصوص وأصحابه، تتأكد:

١ - في كل يوم وفي الاسبوع وفي الشهر وفي السنة وفي الدهر ولو مرة واحدة.

٢ - الزيارة في العيدين، الفطر والاضحى.

٣- في شهر رمضان، وفي ليالي القدر.

٤ - في يوم عرفة

٥ - الزيارة في الظروف الصعبة كالخوف على المال والنفس.

فهذه التأكيد[١] والاهتمام ومع التتبع لا نجده ولا نلحظه في

(١) راجع آخر الفصل الثالث حيث ذكرنا الروايات الشاملة للزيارة والبكاء والعزاء.

زيارة بقية المعصومين عليهم السلام فهل هناك خصوصية ودلائل؟

وقبل التعرض إلى تلك الجوانب والدلائل نشير إلى مقدمة توضيحية مهمة تقربنا من المطلب والوصول للغرض، وهو:

١ - إن قضية الامام الحسين عليه السلام هي من صميم القضايا الدينية التي جاءت في التعاليم والأحاديث، فقد تناولها الإسلام قبل حدوثها، ويكفينا في هذا المجال هو حديث أم سلمة[1] زوجة الرسول صلى الله عليه وآله، كما أن الامام الحسين عليه السلام هو احد أصحاب الكساء الخمسة، التي نصت عليهم الآية المباركة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]، كما نزلت في حقه آيات مختلفة كآية المباهلة، وآية المودة، وفي هذه الآيات

---

(١) أخرج الحافظ الكبير أبو القاسم الطبراني في (المعجم الكبير) لدى ترجمة الحسين السبط عليه السلام وقال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عباد ابن زياد الأسدي، حدثنا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وايل شقيق ابن سلمة عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ريح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة إذا تحوَّلت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل. قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة. ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم.

سيرتنا وسنتنا، الشيخ الأميني، الطبعة الثانية، ١٤١٢ - ١٩٩٢م، دار الغدير للمطبوعات/ دار الكتاب الإسلامي - بيروت - لبنان، ص ٦٦.

(٢) الأحزاب ٣٣.

اعتراف صريح في سبب نزولها عند المسلمين.

٢- إن قضية الامام الحسين لا يمكن أن تكون أهم من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلا أحد يقول بذلك، وكذلك لا يمكن أن يكون هو أفضل من جده وأبيه وأخيه، وإنما للظروف والمأساة خصوصية ترتبط بمسيرة الرسالة ومصير الأمة، فكان وقعها وتأثيرها أشد، وسوف نبين تلك الخصوصية فيما بعد، ولذلك فان موقعها وحدوثها وكيفيتها له بعده وعمقه في مسار الحياة والأمة والحضارة البشرية، كما أن التأكيد على هذا الارتباط بين الأمة والحسين عليه السلام له معطياته وأبعاده وهي غير خفية من تحقيق المعرفة والوعي والإصلاح والتغيير والعودة للدين، وبذلك اكتسبت هذه الاهمية القصوى. فلولا قضية الحسين لم يكن هناك دين، يدلنا بشكل صحيح على الدين والرسالة التي جاء بها جده الاكرم، ولم يكن هناك فهم عميق لمضامين القرآن والإسلام. فالحسين هو الامام عليه السلام والمعصوم عليه السلام الخامس فهو الذي يدلنا ويقودنا إلى هذا الفهم. وقد نص الرسول على ذلك بقوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

إن التأكيد على هذه الرابطة هو تأكيد على تلك الرابطة الدينية والصلة العميقة بمفاهيم الدين وليس فقط بالاسم والشعار والطقوس، وهذا ما يفسر لنا كثير من الأحاديث التي وردت في حقه والتي تشير بعمق تأثير شخصية الحسين ومأساته في هداية الناس إلى الإسلام الصحيح، ونجاتهم بهذه المحبة والالتزام،

منها هو الحديث الوارد عن الرسول ﷺ حيث قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا»[١]، فهذا إما أنه دعاء على أن تكون (من) مفعولا به، أو شرطية فيكون الحسين عليه السلام طريقا لمحبة الله، ويكون مصداق للحديث الثاني لأنه يمثل حياة الرسول وشخصه، فاتباع الحسين هو ابتاع للرسول ﷺ نفسه، وهو المقصود من الحب لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وبذلك فان محبة الحسين واتباع نهجه يستوجب المغفرة والرحمة الإلهية، وهي ما تؤكده الكثير من الروايات في هذا الصدد والمضمون، بل يعتبر الحسين عليه السلام باب واسع لأسباب المغفرة والرحمة وكذلك النجاة ففي الأثر «كلنا سفن النجاة وسفينة الحسين أوسع وأسرع»، وآخر «الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»[٣]. وهو كما ترى يعكس طبيعة الاستحقاق وتكريس لمبدأ العدل الإلهي. كما ينبغي من خلال هذا المفهوم والمقدمة بأن بقية المعصومين لهم خصائص تناسب مكانتهم وأدوارهم وظروف حياتهم، فلا تعارض بين الخصائص والمشتركات التي حباهم الله بها، «فهم شجرة النبوة ومعدل الرسالة ومهبط الوحي المتقدم عنهم مارق والمتخلف عنهم زاهق واللازم لهم لاحق»

(١) ذخائر العقبى، ص١٣٣.
(٢) آل عمران ٣١.
(٣) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، ج٤، ص٥٢.

وهم كذلك البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وهنا نشير إلى اهم تلك الابعاد والجوانب التي انطوت عليها تلك النهضة المباركة فاستحقت المكانة والاستمرار والعظمة في النفوس والحياة، والتي تؤكد حيويتها وتأثيرها:

أولا- الحسين عليه السلام وارث مشروع السماء:

فلولا الحسين عليه السلام ونهضته المباركة لتعرضت مفاهيم الدين ومبادئه إلى المسخ والتشويه، وبذلك ذهبت تلك الجهود التي بذلها الرسل والأنبياء عبر الرسالات والتاريخ، حتى آخر الرسالات وهو الإسلام على يدي خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك أصبح الإسلام غريبا كما بدا، وكما قال الامام علي عليه السلام «لبس الإسلام ثوب الفرو مقلوبا» هذا في عهده، فكيف بالحال الذي وصل إليه في عهد يزيد بن معاوية، لقد أختفت معالم الدين الحقيقية فلم يبق إلا الشعار والقشور، وقد تحدث الامام الحسين عليه السلام كثيرا عن ذلك الانحراف والانقلاب على أرض الواقع يقول عليه السلام «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا»[1] وقال: «من رأى منكم سلطانا جائرا ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في الناس بالاثم والعدوان فلم يغير بقول ولا فعل كان حقا على الله أن يدخله مدخله»[2] ويقصد

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨١.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٢.

بذلـك يزيـد، وهـو الذي أشـار إليه فـي حواره مـع الوليـد بن ابي سـفيان في المدينه وقبل خروجه، فحينما طلـب الوليد الوالي من الحسـين البيعة ليزيـد، تنفيذا للخطاب الذي وصـل إليه منه وأخذ البيعـة من الحسـين عليه السلام أو يقتل، فرد الحسـين عليه السلام عليه «بأن يزيد رجل فاسـق وشـارب الخمر وقاتل النفـس المحترمة ومثلي لا يبايـع مثلـه»[١]. وهو يكشـف عن مـدى الاسـتهتار العبث بكل مكونـات ومقـدرات الأمـة. وبطبيعـة الحـال أن النـاس يكونـوا علـى دين ملوكهم، فالأرضيـة مهيئة للانحـراف والارتباط بالدنيا والسـعي واللهث وراء الحياة والعيش دون الشـعور بالمسـؤولية، وهذا ما أشـار إليه الحسـين عليه السلام حيث يقول «النـاس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسـنتهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[٢] كما مارس النظام الأموي الاستبدادي القمع والإرهاب وزرع الخوف فـي النفوس والتهديد بالقتل وهدم البيوت، كما انكشـف ذلك في العـراق والكوفة بالخصوص لأنها معقل الشـيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام، وبسـبب هذا الأسـاليب والسياسات ذهب مسلم بن عقيل سـفير الحسين ضحية. وقد كشف الحسين عليه السلام عن طبيعة هذه السياسـات الاسـتبدادية حيث قال: «إن الدعـي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السـلة والذلـة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجورت طابت وطهرت ونفوس ابية

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣.

لم تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[1].

والخلاصة كانت الأمور تتجه نحو الهاوية، فأصبح كل شيء في خطر، فكان من الضروري والواجب اعادة الاعتبار للدين وللرسالات والى تلك الجهود التي بذلها كل الأنبياء والرسل والأولياء وتحملوا من أجل ذلك الصعاب والتحديات والقتل والتشريد، كانت النهضة ضرورية للعودة للدين ومفاهيمه الحقة والوقوف عند تلك المكتسبات الحضارية التي رسختها الرسالات، ورسالة الإسلام الخالدة، فكان لا بد من الخروج والقيام بالنهضة وتقديم كل التضحيات، فهي اختزلت كل الرسالات وورثت كل المبادئ وتمثلت كل القيم وحملت كل الشعارات والأهداف ولخصت كل المعاني، وتبنت أساس مشروعها الحضاري وهو الإصلاح، فهي دعوة جسدت كل الدعوات عبرت عن أهدافها وغاياتها، وسطرت ذلك عبر التضحيات والدماء، ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي فيا سيوف خذيني

ولذلك نقرأ في الزيارات المختلفة التي وردت في زيارة الإمام الحسين عليه السلام هذا المعنى، خصوصا زيارة وارث، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن الحسن بن محمد بن عبد الكريم، عن المفضل بن عمر، عن جابر الجعفي قال: قال أبو

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٩.

عبد الله عليه السلام للمفضل: كم بينك وبين قبر الحسـين عليه السلام؟ قال: قلـت: بأبي أنـت وامي يوم وبعض يـوم آخر قال: فتـزوره؟ فقال: نعـم، قـال: فقال: ألا ابشـرك ألا افرحك ببعض ثوابـه؟ قلت: بلى جعلـت فداك، قـال: فقال لـي: إن الرجل منكم ليأخـذ في جهازه ويتهيـأ لزيارتـه فيتباشـر به أهل السـماء، فإذا خرج مـن باب منزله راكبا «أو ماشيا «وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلون عليه حتى يوافي الحسـين عليه السلام، يا مفضل: إذا أتيت قبر الحسـين بن علي عليه السلام فقف بالباب وقل هذه الكلمات، فان لك بكل كلمة كفـلا «من رحمـة الله، فقلـت: ما هـي جعلت فداك؟ قـال تقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السـلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السـلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السـلام عليك يا وارث علي وصي رسـول الله، السـلام عليك يا وارث الحسـن الرضي، السـلام عليك يا وارث فاطمة بنت رسـول الله، السلام عليك أيها الشـهيد الصديق، السـلام عليك أيهـا الوصي البار التقي، السـلام علـى الأرواح التي حلـت بفنائك وأناخت برحلك، السـلام على ملائكة الله المحدقين بك فإذا انقلبت من عند قبر الحسـين عليه السلام ناداك مناد لو سمعت مقالته لأقمت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام وهو يقول: طوبى لك أيها العبد قد غنمت وسلمت، قد غفر لك ما سلف فاستأنف العمل، فإن هو مات في عامه أو في ليلته أو يومه لم يل قبض روحه إلا الله وتقبل الملائكة معه يستغفرون له ويصلون

عليه حتى يوافي منزله، وتقول الملائكة: يا رب هذا عبدك قد وافى قبر ابن نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وقد وافى منزله فأين نذهب؟ فيأتيهم النداء من السماء يا ملائكتي قفوا بباب عبدي فسبحوا وقدسوا واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم يتوفى[1].

ثانيا- النهضة الحسينية والمثل العليا

فاذا كان النظام الاموي قد أستحل كل شيء، فقتل الابرياء وهتك الاعراض وانتهك الحرمات وسلب الكرامات وهدم المروءات، فيجب القول بحق بأن الحسين وأصحابه في كربلاء حفظوا كل شيء وأصانوا كل ذلك، فهي جسدت كل المبادئ وحفظت كل الكرامات.

فالنهضة المباركة حوت كل الفضائل، وجسدت كل المآثر والمفاخر، مثل الشجاعة والإيثار والصبر والغيرة والأخلاق والبذل والعطاء والتعاون والمحبة والتعاطف، «فكربلاء مدرسة شامخة بحق قدمت كل الدروس وفي كل المجالات وعلى كل الصعد الإنسانية والقيمية، بالرغم من قصر عمرها، فلقد حازت على كل الفضائل من خلال التضحيات الجسام والمآثر العظام والمناقب البيلة والأهداف السامية والنوايا الخالصة فغدت بذل انشودة للاحرار والمؤمنين الابرار، والإنسانية التواقة للمثل والمبادئ»، فكل خطوة في مسيرة هذه النهضة من بدايتها إلى

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٨٩ (ص) ١٨.

نهايتها تشير إلى حكمة ومبدأ وأسلوب وغاية، ولم يقتصر ذلك على الامام عليه السلام وهو القائد بل تمثل ذل أيضا أهل بيته عليهم السلام وأصحابه والمجاهدين معه من الرجال والنساء والأطفال. وهو قد قال وعبر عن مكانتهم «لم أرَ...»، وقد أخذته اللوعة والحسرة ودخل في قلبه الحزن الشديد على فراقهم يوم العاشر من المحرم بعد أن وقف وحيدا فريدا فصار ينظر اليهم ويحاكيهم ودموعه تسيل على خديه وهم صرعى فصار «ينظر يمينا وشمالا، فلم ير أحدا من أنصاره إلا من صافح التراب جبينه ومن قطع الحمام أنينه فنادى: «يا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجاء ما لي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون؟ أنتم نيام أرجوكم تنتبهون؟ أم حالت مودتكم عن امامكم فلا تنصروه؟ هذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهن النحول، فقوموا عن نومتكم أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون، والا لما كنتم عن نصرتي تقصرون».

ويقول الشاعر:

لما رأى السبط أصحاب الوفى قتلوا
نادى أبا الفضل أين الفارس البطل
وأين من دوني الأرواح قد بذلوا
بالامس كانوا معي واليوم قد رحلوا

أما النساء تتقدمهم زينب أخت الحسين عليه السلام فكن مدرسة في الصبر والثبات والتأسي، فلم يصدر منهم إلا ما يرضي الخالق،

ويقـر عين العزيـز، وما يقرع به معاقل الاعـداء ويفزع مضاجعهم. وهنا جدير أن نذكر بعض هذه المآثر والشواهد:

الأخلاق الحسنة

لقد وصل جيش الحر بن يزيد الرياحي (وهو القائد من قبل عبيـد اللـه بن زياد) مـن أجل أن يقطع على الحسـين عليه السلام طريقه ويأخـذ البيعـه منـه، ولكنـه هـذا الجيش وصـل وهـو منهمك من شـدة العطش، وليـس عندهم ماء، ولكن الحسـين عليه السلام لما رأى حالتهم، بادر بسقيهم، وسقي خيولهم وترشيفها، ولكن في كربلاء حرموهم من الماء حتى الطفل الرضيع.

الوفاء والإيثار

فحينمـا وصـل العبـاس بن علـي عليه السلام ليهما السـلام، إلى المشـرعة وأراد أن يشـرب الماء، وقد أخذه العطش مأخذا عظيما قارب الهلاك، لكنه أمتنع عن الشـرب بعد أن تذكر أخاه الحسـين والنساء والأطفال، ورمى به وقال «

يـا نـفـس مـن بـعـد الـحـسـين
هـونـي وبـعـده لا كنت أو تكون
فـهـذا حـسـين وارد الـمـنـون
أو تـشـربـين بـارد الـمـعـين

ثم ملأ القربة لايصالها إلى المخيم، دون أن يشـرب وجاهد

للحفـاظ عليها، لكن الاعداء حالـوا دون الوصول، واهريق ماؤها بعد تمزيقها، وقطع يدي العباس وقتله.

قيمة الحق

لقد شـاهد علي الاكبر تلك الجيوش والعسـاكر والحشـود قد تعسـكرت لقتل الحسين عليه السلام، لكنه لم يبال منها ولم ترتجف لـه عين ولم تتحرك منه شـعره، وإنما جاء إلى والده بكل شـجاعة وهو يقول مسـتنكرا على القوم: أو لسنا على الحق؟ فقال الحسين عليه السلام بلـى والذي إليه مرجع العباد. فقال الابن: إذاً لا نبالي وقعنا علـى الموت أم وقع الموت علينا». فلما رأي منهم والده الاصرار قال له أو تمشي برجلك إلى الموت؟

الغيرة والحمية

فبعـد أن سـقط الحسـين عليه السلام علـى الأرض وأصابـه الإغمـاء والاعيـاء، عمد العدو إلى الهجوم، فغارت الخيول والرجال على مخيم النسـاء واذا بالحسـين عليه السلام يتحـرك وأراد النهـوض من أجـل الدفاع، والغيرة على النسـاء وصيانة أعراضهن، واذا بالعـدو يتراجع ويتفكر في أمر الحسين عليه السلام . وعرف الحسين عليه السلام بأن ذلك مكيدة من القوم.

روح التأسي والصبر

بعد مقتل الحسـين عليه السلام وأصحابه جيء بالماء إلى النسـاء والأطفال لكنهم أبوا أن يشـربوا، وقالوا جميعهم كيف نشرب وقد

قتل الحسين عليه السلام عطشانا، فأمر الامام زين العابدين عليه السلام (وكان مريضا وقد نجا من القتل) عمته زينب عليها السلام أن تشرب الماء، كي لا يمتنع البقية من شرب الماء، فتكون لهن محرضا، فما شربت قليلا ودموعها تسيل، شربوا بعد ذلك على مضض.

هذا ومضات واضاءات تمثل عبورا سريعا من تلك الملحمة، فكل خطوة تحكي لنا قصة كاملة وكل موقف يمثل لنا مبدأ، فكيف إذا وقفنا عند المسيرة الكاملة من البداية إلى النهاية.

فحقيق وجدير أن نتعلم من هذه المدرسة كل معاني النبل والمثل والفضيلة التي تتوقد إليها الفطرة الإنسانية ودعت إليها الرسالات السماوية وتضحي من اجلها النفوس الغالية وتهدي إليها العقول الصافية.

ثالثا - المأساة الفريدة

التي ليس بعدها مأساة يمكن أن تقع مثلها، ولن تقع*، برغم المكانة والقدسية والطهارة التي لا تخفى على أحد، خصوصا لأهل العراق، وقد حاول الامام عليه السلام تذكير القوم بنسبه ومكانته وأهل بيته أكثر من مرة في خطاباته، وشرح لهم أهدافه وغاياته التي من أجلها خرج، ودعوتهم له بالمجيء، إلا أن ذلك لم يكن كافيا وحاجزا عن قتله وقتل من معه، وسبي نسائه. في معركة لم تكن متكافئة، واصرار من العدو على ارتكاب الجريمة، وبطريقة بشعة ليس له نظير. بدءا من قتل الطفل الرضيع على صدر والده، وحرمان

الأطفال والنسـاء والجميع من شـرب الماء، وقتل الشبان، وحرق الخيـام، والتمثيـل بالقتلى أمـام أنظار النسـاء والأطفـال، وتعليق رؤوسـهم على الرماح وسوق النساء بعد ذلك سبايا تتقدمهم تلك الرؤوس أمام الملأ، وكأنهم سبايا الروم والفرس والعبيد!

فهي مأسـاة تختزل الكثير من الحقائـق والجوانب التي ترتبط بالرسـول ﷺ وأهـل بيتـه والرسـالة والشـهداء انفسـهم والواقعة نفسـها، فلا يمكن تحديدها بجانب معين، وبذلك أشـتد غضب الله على هذه العصابة، ولم يمهلها. ومن الشـواهد الحية والواقعية على هذه المأسـاة وانها فريدة هو اسـتمرارها إلى ابد الابدين، بالرغم من العراقيـل والعقبات التـي وضعت من أجل القضـاء عليها والحؤول دون اسـتمرارها، إلا اننـا نـرى عكـس ذلـك مـن خلال ما نشـاهده فـي عصرنا الحاضـر فهي اليوم أكثر انتشـارا وتألقـا وتأثيرا وتوهجا «فالمعركـة لم تسـتمر إلا سـاعات والقتلى محدودون، وكل شـيء انتهى في خـلال يوم واحد تقريبا، والسـيطرة الميدانية تمت للعدو، لكن لم تكن المأسـاة بسـيطة كما تصورها العدو نفسـه بل تجاوزت كل التوقعات والحدود والتاريخ لتصبح مأسـاة الإنسانية والأمة عبر وآخر الازمان على الإطلاق». فهل يبق بعد ذلك دليل على شموخها وانفرادها ومركزيتها، ولو فسح المجال لها من قبل الانظمة السياسية في كل عصـر وزمان، لتغيرت الأحوال واصبحت انشـودة الجميع، لكنها حفرت في عالم الأكوان والنفوس الصالحة والقلوب المؤمنه قبورها لتروى من عبراتها وتتجدد ذكراها بحيث لا تنسى أبدا، شأنها

شأن القرآن الكريم، يقول الإمام الصادق عليه السلام «ان لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تنطفأ ابدا». ويقول الشاعر:

أنست رزيتكم رزايانا التي
سلفت وهونت رزايانا الاتية

فكل مأساة في طريق الحياة تتصاغر أمام مأساة كربلاء مهما عظمت ومهما كثرت وأشتدت. فهي أي مأساة كربلاء سلوة الصالحين والصابرين والمتأسين. وهي سلوة الجميع بدون استثناء للرجال والنساء والأطفال، لأنها حوت كل المصائب وتنوعت في فنونها وأساليبها. وقد أجاد الشاعر الموالي في قصيدته وحرقة قلبه لما جرى في يوم العاشر حيث يقول:

وحق رسك المقطوع يا شمس المضية
للحشر ما ننسى مصابك والرزية
ننسى وسهم الي صاب قلبك ياذرانا
ذلنا وفت قلوبنا ونكس لوانا
وتقطيع جسمك بالثرى فتت أمعانا
وخيل وطت صدرك على حر الوطية
وذبح الطفل ننساه هذا محال يحسين
وما ينسى اركوب الوديعة على المطية

الاستحقاق العادل

فبعد أن تكشفت الحقائق، وحدث ما حدث، وظهرت

بوادر التغيير والتحـولات، بدأت تتجلى تلك المعادلات الربانية، التي ينتصر فيها للحق والعدل والمبادئ والمجاهدين والشـهداء، بـدءا من الانتكاسـات النفسـية والتمردات في جيـش العدو الذي أصبح مشـتت الفكـر واليقظة من هول المصيبة، هـذا العدو الذي بـاء بغضـب من الله، حتى نجد كيف أن أهل الكوفة اسـتغرقوا في بكائهم، فبعد أن جيء بالنساء سبايا إلى الكوفة نظرت زينب عليها السلام اليهـم وقالـت «أتبكـون وتنتحبـون فبكـوا والله كثيـرا واضحكوا قليلا»، كذلك نجد تلك الثورات الغاضبة مثل ثورة التوابين بقيادة سـليمان بـن صرد الخزاعـي، إلى ثـورة المختار بن عبيـدة الثقفي الـذي حصـد رؤوس القيادات مثل حرملة وشـمر وعمر بن سـعد وعبيد الله بن زياد، وقد أرسل المختار رأس الاخير مع رسول إلى المدينـة ووضـع أمام الامام زين العابدين على بن الحسـين عليه السلام عند وقت الظهيـرة وقرب مائدة الطعام، وكان الرأس قد وضع في اناء كالطشـت، واذا بالامام عليه السلام ينظر إليه مبتسـما وفرحا (وقيل بأن الإمام لم ير على تلك الحالة منذ أن قتل والده الحسين عليه السلام) فقـال الإمام عليه السلام «حتى النسـاء سـررن بهـذه المناسـبة، لما فيها مـن خـذلان الباطل وانتصار للحـق وأهله. ومـن المعادلات التي صاحبـت هـذه الفاجعة هو ما تحقـق من دعاء الإمـام عليه السلام على تلـك الأمـة من تسـلط الظلمة والحـكام على رقاب النـاس الذين بسببهم أتاحوا الفرصة للعمل بالجور والطغيان، فيتحدث التاريخ عن الحجاج بن يوسـف الثقفي وما قام به من سـفك الدماء ونهب الأموال والبطش بكل من يقف أمامه، ومما قام به هو ضرب الكعبة

بالمنجنيق، وهي من أكبر الإهانات لهذه الأمة وسوادها. وذلك حين دعا الامام عليه السلام عليهم بعد ما رأى منهم ما راى وقال «اللهم احبس عليهم قطر السماء وسلط عليهم غلام ثقيف». والشواهد على ذلك لا يتسع لها المجال في هذه الدراسة.

الاستحقاقات الخاصة بالحسين عليه السلام

فلا غرابة بل من الطبيعي نجد تلك المكانة والإحاطة والتأكيدات في التعاليم على رسم الصورة وطبيعة العلاقة مع شخصية الحسين عليه السلام وكذلك ذكر مأساته والفاجعة الأليمة.

فنجد التأكيد على عمق الرابط والعلاقة، والزيارة والبكاء والتعزية، حتى أصبح مراسيم عاشوراء رمزا للولاء، والبكاء منبع للفضيلة واستحضار المأساة، والزيارة علامة للحب وعمق الإيمان والاقتداء. والعجيب والغريب من يستكثر ذلك في حقه وحق أصحابه، والاغرب هو من يسفه ذلك، أو يستهين بحرمة تلك الدماء الزكية وقيمتها عند الله سبحانه، وهنا نذكر بعض الروايات التي جاءت في حقه وأكدت خصوصية العلاقة والرابطة، وهذه روايات في البكاء والزيارة والعزاء وفضل التربة المباركة:

روي أنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاء شديدا، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خال مني ومنك ومن علي، فاشتد بكاؤها وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء

له؟. فقال النبي: يا فاطمة إن نسـاء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، رجالهم يبكـون على رجال أهل بيتي، ويجـددون العزاء جيلا، بعد جيل، في كل سـنة فإذا كان القيامة تشـفعين أنت للنسـاء وأنا أشـفع للرجـال وكل مـن بكـى منهـم علـى مصـاب الحسـين أخذنـا بيده وأدخلنـاه الجنة. يا فاطمة! كل عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فانها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة(١).

وفـي (العلل) عن محمد بن علـي القزويني، عن المظفر بن أحمد القزويني، عن محمد بن جعفر الأسدي، عن سهل بن زياد، عن سـليمان بن عبد الله، عن عبد الله ابن الفضيل الهاشـمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسـول الله صلى الله عليه وآله كيف صار يوم عاشـورا يوم مصيبـة وغم وحزن وبكاء دون اليـوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة، واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين، واليوم الذي قتل فيه الحسـن بالسـم؟ فقال: إن يوم الحسين أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكسـاء الذيـن كانوا أكرم الخلق على الله عز وجل كانوا خمسـة، فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسـن والحسـين، فكان فيهم للناس عزا وسـلوة، فلما مضت فاطمة كان فـي أميـر المؤمنين والحسـن والحسـين للناس عزا وسـلوة، فلما مضى أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليه السلام (٢).

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ (ص) ٢٩٢.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٠ (ص) ٣٩٣.

وعن جعفر بن محمد بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام (في حديث) فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام، ثم قال: عليه السلام كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام[1]..

في ذكر زيارة الحسين عليه السلام في أول ليلة من شهر رمضان وليلة النصف منه وآخر ليلة منه روينا ذلك باسناد إلى أبي المفضل الشيباني، قال: حدثنا أبو محمد شعيب بن محمد بن مقاتل البلخي بنوقان طوس في مشهد الرضا عليه السلام، قال: حدثني أبي، عن أبي بصير الفتح بن عبد الرحمان القمي، عن علي بن محمد بن فيض بن مختار، عن أبيه، عن جعفر بن محمد عليهما السلام انه سئل عن زيارة أبي عبد الله عليه السلام فقيل: هل في ذلك وقت هو أفضل من وقت؟ فقال: زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين فان زيارته عليه السلام خير موضوع، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير ومن قلل قلل له، وتحروا[2] بزيارتكم الأوقات الشريفة، فان الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته[3].

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٠ (ص) ٣٩٣.
(٢) الخصال للصدوق (ص ٢٧٢) وأمالي الصدوق (المجلس ٢٩) (ص) (١٢١).
(٣) إقبال الأعمال السيد ابن طاووس الحسني ج ١ (ص) ٤٥.

أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد (رحمه الله)، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما خلق الله خلقا أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلموا عليه، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلموا عليه، ثم عرجوا، وينزل مثلهم أبدا إلى يوم القيامة. وقال عليه السلام: من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفا بحقه، غير متجبر، ولا متكبر، كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبعث من الامنين، وهون عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وان مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره. قال: ومن زار الحسين عليه السلام عارفا بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وألف عمرة[1].

ومن الروايات التي جاءت في حقه واستحقاقه هو خصوصية تربة الحسين عليه السلام:

أخبرنا ابن خشيش، عن محمد بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن محمد بن معقل القرميسيني العجلي، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي الاحمري، قال: حدثنا عبد الله بن حماد

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص) ٢١٤: ٣٧٢/ ٢٢.

الانصاري، عن زيد أبي أسامة، قال: كنت في جماعة من عصابتنا بحضرة سيدنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأقبل علينا أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: إن الله (تعالى) جعل تربة جدي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ شفاء من كل داء وإمانا من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينيه، وليمرها على سائر جسده، وليقل: «اللهم بحق هذه التربة، وبحق من حل بها وثوى فيها، وبحق أبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده، وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاء من كل داء، وبرءا من كل مرض، ونجاة من كل آفة، وحرزا مما أخاف وأحذر» ثم يستعملها. قال أبو أسامة: فإني استعملتها من دهري الاطول، كما قال ووصف أبو عبد الله، فما رأيت بحمد الله مكروها[1].

باب استحباب الاكثار من الدعاء وطلب الحوائج عند قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١ - أحمد بن فهد في عدة الداعي قال: روي أن الله عوض الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتله أربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريته، وأن لا تعد أيام زائريه من أعمارهم[2].

٢ - قال: وروي أن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ مرض فأمر من عنده أن يستأجروا له أجيرا يدعو عند قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فوجدوا رجلا

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص) ٣١٨: ٦٤٦ / ٩٣.
(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٤ (ص) ٥٣٧: ٧٦.

فقالـوا لـه ذلـك، فقـال: أنا أمضـي ولكن الحسـين إمـام مفترض الطاعـة، وهو إمـام مفترض الطاعـة! فرجعوا إلـى الصادق عليه السلام وأخبـروه فقـال: هو كما قال: ولكـن أما عرف أن للـه تعالى بقاعا يستجاب فيها الدعاء فتلك البقعة من تلك البقاع.

وعن الحسـن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسـن بن محبوب عن العلاء بن رزين، عن شـعيب العقرقوفي، عـن أبي عبـد الله عليه السلام قال: قلت له: من أتى قبر الحسـين عليه السلام مالـه من الأجر والثواب؟ قال: يا شـعيب ما صلى عنده أحد ودعا دعـوة إلا اسـتجيب عاجلة وآجلة، قلت: زدني قال: أيسـر ما يقال لزائر الحسين عليه السلام: قد غفر لك فاستأنف اليوم عملا جديدا[١].

«فمنـذ ولـد الحسـين عليه السلام أقـام النبـي صلى الله عليه وآله مآتـم علـى سبطه الوليد ذلك اليوم، الشـهيد بعد غد. فكيف يقيم النبي صلى الله عليه وآله مجلس الحزن على قرة عينه، يوم ولادته، أهكذا يسـتقبل العظماء مواليدهم؟ أو لا يجب أن يستبشروا بالولادات الجديدة، ويتهادوا التهانـي والأفراح والمسـرات؟! وتتكـرر المجالس التـي يعقدها الرسـول العظيـم، ليبكـي فيها على وليـده، ويبكي لأجلـه كل من حولـه، وفيهـم فاطمـة الزهـراء عليهـا السـلام أم الوليـد، وبعض أمهات المؤمنين، وأشـراف الصحابة[٢]. وحقا عد ذلك من دلائل

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) اقرأ عن المجالس التي أقامها الرسول صلى الله عليه وآله كتاب: سيرتنا وسنتنا للاميني، ولاحظ تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (ص ١٦٥ - ١٨٥).

النبوة ومعجزاتها[1]. وهكذا أقام الإمام علي عليه السلام، مجلس العزاء على ولده الحسين عليه السلام، لما مر على أرض كربلاء، وهو في طريقه إلى صفين، فوقف بها، فقيل: هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم أومأ بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأومأ بعده إلى موضع آخر، فقال: هاهنا مهراق دمائهم[2]. ونزل إلى شجرة، فصلى إليها، فأخذ تربة من الأرض فشمها، ثم قال: واها لك من تربة، ليقتلن بك قوم|يقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب[3]. ورثاه أخوه الحسن عليه السلام وقال له: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله... ويبكي عليك كل شيء[4].... وحتى الحسين عليه السلام نفسه، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبته، وحث المؤمنين عليه، حيث قال: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى[5]. وهكذا الأئمة عليهم السلام بعد الحسين، أكدوا على البكاء على الحسين بشتى الأشكال[6].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٦: ٤٦٨) ومسند أحمد (٣: ٢٤٢ و٢٦٥) وانظر أمالي الصدوق (ص ١٢٦) ودلائل النبوة، لابي نعيم (ص ٧٠٩) رقم (٤٩٢).

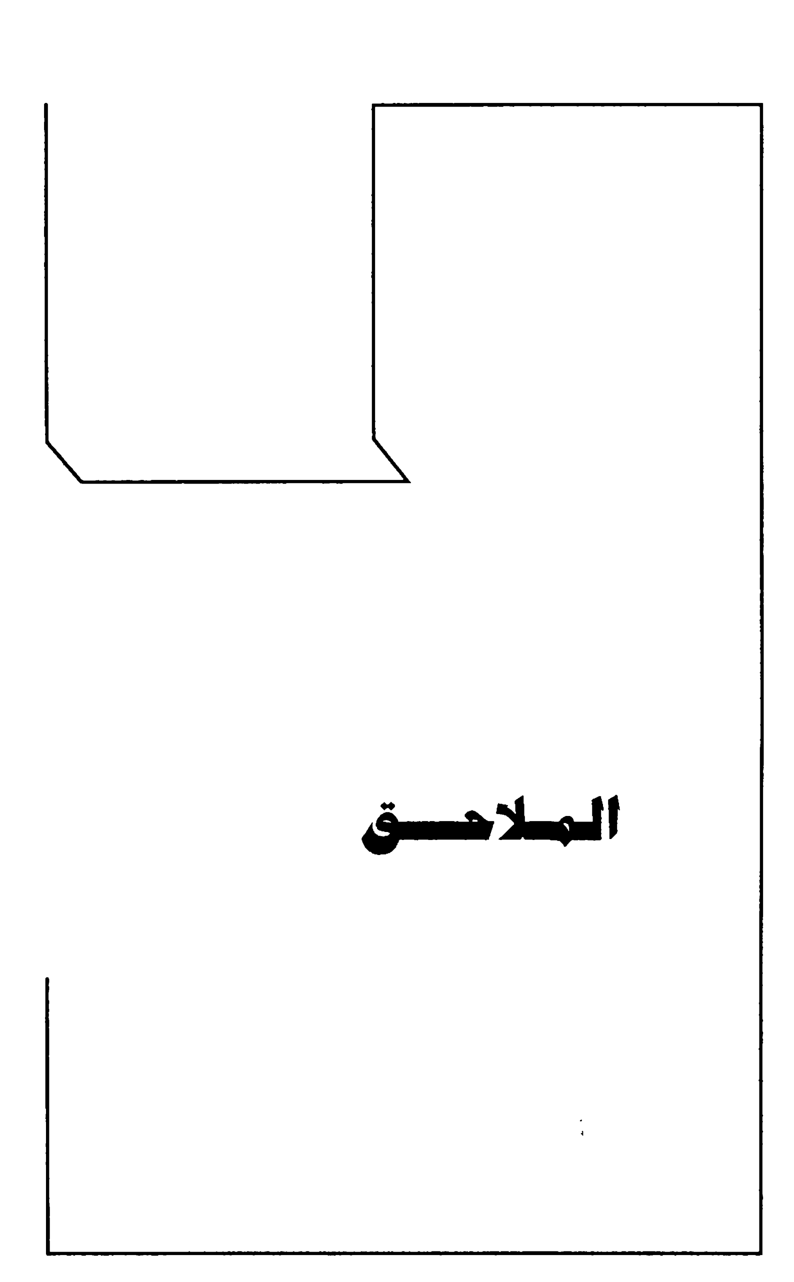
(٢) وقعة صفين (ص ١٤١) والمصنف لابن أبي شيبة (١٥: ٩٨) رقم (١٩١٢١٤) وكنز العمال (٧: ١٠٥ و١١٠) وأمالي الصدوق المجلس (٧٨) (ص ٤٧٨ و٤٧٩).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) (ص ٢٣٥) رقم ٢٨٠ وانظر الأرقام (٢٣٦ - ٢٣٩).

(٤) أمالي الصدوق (المجلس (٢٤) (ص) ١٠١).

(٥) فضل زيارة الحسين للعلوي (ص ٤١) الحديث (١٣) ». انتهى.

(٦) إحقاق الحق للتستري ج ١١ (ص) ١٥٨.



الملاحق

ملحق رقم (١)

الحسين ورسالة السلام

لا يمكن لأحد أن يشك في نوايا ومنطلقات نهضة الإمام بل من الصعب ذلك، فالحسين هو سبط رسول الله وريحانته، وما ورد من الأحاديث العامة والخاصة في حقه، تكفي لإزالة كل الظنون والأوهام وكل التفسيرات والتأويلات التي تقال في بواعث هذه النهضة، وإلا لزاما هو الطعن في مصداقية ما جاء به الرسول. «و أهمها الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[١] وآخر «الحسين مني وأنا من الحسين»[٢]. ومن الأحاديث المتفق عليها عند المسلمين، كما جاء في صحيح أبي داوود والترمذي بإسنادهما عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله قال « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣]، من هنا فان التأكيد على

(١) بحار الأنوار مجلد ٣٧ ص١.
(٢) نفس المصدر ج٢٣ ص٢٦١.
(٣) نفس المصدر ج٣٧ص٦٦.

شخصية الإمام ونهضته تكون في الأبعاد التالية:

١- على تلك الرابطة المقدسة التي لا يجوز المساس بها، يقول تعالى ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١].

٢- وعلى مكانة أهل البيت في الأمة والعالم، من أجل الالتفاف والسير على خطاهم فهم، الامتداد الطبيعي والرسالي الذي خطه القرآن وثبته الرسول يقول تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢]. وللحفاظ على دينها وهويتها ومصالحها الحيوية، وليس من الصحيح الاقتصار على النظرة العاطفية أو فقط جانب القرابة، والمحبة المجردة.

٣- وعلى الأهداف والمضامين والتطلعات، فكلما كان هناك وعي بهذه الرابطة المقدسة من جهة، ووعي بخط أهل البيت وبخط الحسين عليه السلام لى وجه الخصوص الذي جسد أروع مبادئ الإسلام، استطعنا أن نحقق تلك الأهداف والمضامين التي أكد عليها القران وعلى لسان الرسول يقول تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[٣]. فهم السبيل والطريق الذي أكد عليه القرآن بكلمة (الأجر) وجرها، وكذلك هو السر في ابتغاء الرسول لهذا الآجر دون غيره من الرسل قبله، حيث كان أجرهم على الله مباشرة، حيث

---

(١) الشورى ٢٣.
(٢) سبأ ٤٧.
(٣) الفرقان ٥٧.

قال تعالى على لسان كل رسول: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[١]، وبصيغة أخرى تكررت خمس مرات في سورة الشعراء ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]. وهو الرسول الأمثل والأفضل والأقرب إلى الله بحيث لا أحد يضاهيه.

إذا الاهتمام بهذه الحدث والمأساة لا يمكن أن تكون خصوصية أو لجهات ضيقة، وكذلك لا يمكن أن تكون ضد مصلحة الناس والأمة أو باعثا على الإخلال بالمبادئ السمحة ورسالة السلام أبدا. بل السلام يكمن في رسالة الحسين ومبادئه التي خرج من اجلها والتي تؤكد:

أولا - على الدعوة للإصلاح والتغيير:

إصلاح هذه الأمة من التمزق والفرقة والتخلف بسبب السياسات الظالمة، وهو يقول عليه السلام في خطبته « لم أخرج أشرا ولا بطرا ولكن خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٣].

ثانيا - دعوته إلى القيم العادلة والحضارية:

والتي تحفظ وتحقق قضية السلام في حياة الإنسان والمجتمع والعالم أجمع، وبدونها سوف نعيش في سراب ولا

(١) يونس ٧٢.
(٢) الشعراء ١٢٧.
(٣) إحدى خطب الإمام (الخوارزمي مقتل الحسين ج١ ص١٨٨ ط).

يمكن أن تذوق طعم الراحة والسعادة ولا الاستقرار.

أي حينما تفتقد السياسات الحاكمة في أي مكان في العالم إلى العدالة والحرية والمساواة، فإننا لا نحظى إلا بمزيد من المشاكل والفتن والكراهية وبواعث الشرور، ولذلك كانت النهضة الحسينية في ذلك العصر وفي كل عصر، يقظة للأمة من سباتها العميق الذي تكرس عبر الأجيال، وما علق عليها من غبار التخلف والسنين العجاف من الحرمان والتهميش.

ثالثا- الكرامة الإنسانية المفقودة:

فالسلام الحقيقي والعادل هو في ظل القيم والإصلاح، ومبادئ الرحمة وليس في ظل الصمت والحرمان والاستبداد، هذا ما أشار إليه الإمام الحسين حيث يقول «لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»[1].

واجب الأمة اتجاه النهضة الحسينية والمأساة

١- التعريف بهذه النهضة على مستوى العالم[2]

فلا يكفي الإيمان والاعتقاد بتلك الرابطة المقدسة والنهضة

(١) إحدى خطبه المعجم الكبير للطبراني ج٣ص١٢٤.

(٢) فما زال الكثير من المسلمين يجهلون هذه الواقعة وهويتها وأصحابها، بسبب التكتم الإعلامي، والتضليل، خصوصاً لكتب التاريخ والمناهج الدراسية، ويلتفون بالإشارة إليها. ومن آثار هذا التضليل في المناهج أن السنة يقيمون الأفراح والأعياد في شهر محرم، وكما ينقل أن في المغرب العربي (شمال

المباركة، وكذلك الحب والولاء، بل لا بد من نشرها وتعريفها للعالم، وان لا تحسب على طائفة معينة، فهذا ظلم وتحجيم لرسالتها وتقويض لمبادئها على مر الزمان، فهي رسالة الرحمة للعالم، وإذا كان الحدث والقدر قد تعين في بقعة من العالم فهذا، لا يعني انه يخص ويرتبط فقط بتلك الظروف المحيطة بالحدث، كلا وألف كلا، وإلا لم تكن لرسالات الأنبياء قيمة سامية، وحضارية، فالرسول إنما بعث من الجزيرة العربية فهل كانت

أفريقيا) يتبركون بشهر محرم الحرام ويقيمون فيه المناسبات السارة مثل الزواج والمواليد.

هذا بالنسبة للمسلمين وحال الأمة، فكيف بالعالم الآخر، الغربي ودول شرق آسيا وغيرها!

فالحسين رحمة، ويحمل رسالة الرحمة كجده ص، فلا تخص قوم دون قوم، فهي للعالم بأسره، حتى لغير المسلمين، الذين يخضعون تحت تأثيرات الحكومات الاستبدادية والمادية الملحدة والعلمانية، فهم مستضعفون لتضليلهم عن الحقائق، وهم ما ذكرهم القرآن وخصهم بالاهتمام في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ النساء ٧٥، إذا الاستضعاف يقع على نحويين وهما:

١- الظلم الواقع والقهر والحرمان، بحيث لا يستطيع الإنسان المقاومة ولا الحصول على حقوقه المشروعة في ظل الاستبداد.

٢- التضليل والزيف للحقيقة والواقع، بسبب التعتيم الإعلامي، والتشدق بالحريات المزيفة، ونقل الصورة الكاذبة كما هو في الغرب المادي. يقول تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ النساء ٩٨.

دعوته لهم فقط؟ وهو الذي قال عنه القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]، فتأطيرها يفقدها القدرة على التأثير والانتشار وهذا ما يحاول ويسعى إليه المكابرون والمعاندون والظالمون.

ولقد ساهمت الاختلافات بين المسلمين والتعصب المقيت في تكريس الجهل بتاريخ الإسلام وبالنهضة الحسينية بالخصوص حتى في أوساط المسلمين، فالكثير لا يعرف عن هذه النهضة شيئا ولا عن دورها، حتى يظن البعض أنها قصة خيالية أو أنها لم تقع البتة.

والبعض من المسلمين وفي أوساط الأمة الذين سمعوا وقرأوا عن هذه النهضة والمأساة لا يفرقون بين الحق والباطل ولا بين يزيد والحسين، إما من أراد تحريف التاريخ والحقيقة بالقول إن الحدث مجرد اجتهادات وآراء في البيت الإسلامي الواحد، ولا تعدو كونها مشكلة سياسية، ليس لها علاقة بالدين والناس. كل ذلك يجعلنا أن نعيد صياغة المفاهيم والأفكار والمعلومات والأخبار التي ارتبطت بهذه المأساة ثم بثها ونشرها للناس والعالم أجمع، ليتمكنوا من الاستفادة ويكونوا على قرب من الحدث ويمتلكوا القدرة على التمييز واتخذ المواقف الصحيحة التي تنفعهم وترتبط بتاريخهم ومصيرهم.

والمهمة الحضارية لهذا الحدث في عصرنا الحاضر هو

(١) سبأ ٢٨. [١٢] البقرة ٨٣.

الاستفادة منها في عالم الانفتاح والتواصل عبر الوسائل المختلفة واستغلالها بشكل أمثل، حتى تصل هذه المعرفة للملايين من الناس والشعوب، وان يكون لخطابنا ولغتنا تأثير باستخدام أبلغ الأساليب وأحسنها، والتي تواكب العصر والتحولات يقول تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أحسن﴾[2]، أما المعرفة والمعلومات التي تفتقد إلى الحكمة والتأثير فهي في الواقع تسيء إلى أصحابها والى الأهداف التي يحملونها، مهما كانت الإمكانات والوسائل المتاحة والمتطورة، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أحسن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3].

وأمام هذه المهمة العصرية هو الاهتمام بكل اللغات وتعدد التوجهات والميولات الدينية والاجتماعية، فالمعرفة ليست حكرا على أحد، بل هي عابرة إلى القارات والأزمان، فالكلمة الطيبة هي رسول القلوب، وتأتي ثمارها كل حين بإذن الله، أما عن خطورة الكلمة عبر عنها الشاعر بقوله:

جراحات السهام لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

(١) العنكبوت ٤٦.
(٢) النحل ١٢٥.
(٣) إبراهيم ٢٦.

ويقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأرض مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[١]، مهما تلبست هذه الكلمة من زي وتراءت من قدسية.

إن رسالة العزاء التي عرف بها الشيعة (وهي الطائفة الموالية لأهـل البيت) والتـي تعبر عن التفاعل والحب للحسـين والذوبان فـي مبادئـه ينبغي أن تكون أيضا رسـالة تعريف للعالم، سـواء عبر الخطـاب أو البـكاء أو العزاء واللطم كما هـو معروف، والأهم إن تكـون هذه الرسـالة بعيده عن التعصب والانفعـال المؤجج للفتن والعصبيـات. حتـى لا تقـدم المبـررات للإسـاءة والنيـل من هذه النهضـة، «فـلا ينبغـي إن تتحول هذه المأسـاة إلى قضيـة لتكريس المظلومية عند الطائفة، أو تجيرها إلى ثقافة مواجهة مع الآخرين، أو مضـادة لثقافـة الحياة من التواصل والتسـامح والحوار وتوحيد صفوف وأبناء الأمة».

إن الخطاب المتشـدد يخالف سياسة التعريف بهذه النهضة ومبرر لوضع الحواجز والسدود لمنع انطلاقتها والإخلال بمبادئها وتشـويه صورتها، وهو يقدم الفرصة ويهيـئ الأرضية لظهور تلك الأصوات الناشـزة عن خط الاعتدال وتحاول اسـتغلال الهفوات والصيـد فـي المـاء العكر من أجـل الإسـاءة لا غير، ونحـن اليوم بأمـس الحاجـة إلى التقـارب وتقويـة الكيان فـي عالـم الكيانات التـي لا تعتـرف بالضعيـف ولا تحتـرم المبـادئ، وعالـم يغوص

(١) البقرة ٢٠٨.

بالمتناقضات والتخبطات.

إذا الإعلام اليوم هو الواجهة الحضارية التي نطل بها على العالم في نقل الصورة والفكرة والخطاب الحي المباشر وغير المباشر، وهذا يؤكد على ضرورة احترام الكلمة لأنها تعبر عن الشعور بالمسؤولية أولا، واحترام الإنسان ثانيا، والحفاظ على مصلحة الأمة والناس أجمعين ثالثا.

كما أن الاختلافات في الآراء حول قضايانا الحاضرة والتاريخية لا يمكن أن تكون مانعا في نقل الصورة الإيجابية والحضارية من أحداث التاريخ والتي تساهم في بناء الحضارة، فمطلوب من الأمة (العربية والإسلامية) أن تبعث برسائل احترام وذلك من خلال الاهتمام بقدسية هذه النهضة والاهتمام بمبادئها البناءة والتي تعزز من قدرة الشعوب نحو التغيير والإصلاح والتقدم، وذلك من خلال تسخير الوسائل والإعلام بشكل خاص.

٢- قيمة الدماء والعطاء والتضحيات في حياة الأمة:

فالإسلام ليس دعوة إلى القتال والعنف وهو الذي يدعو إلى السلام يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١] وهو دين

(١) الأنبياء ١٠٧.

الرحمة كذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١]، ولكنه أيضا دعوة للعدل والمساواة، فمن دون ذلك لا تستقيم الحياة ولا تطال الحقوق، ومهمة الرسـالات هي تحقيق هذه البنية من أجل ضمان الاستقرار والسعادة يقول تعالـى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

وحينمـا يفتقـد أي مجتمـع إلـى العـدل سـوف يفتقـد إلـى مقومات الحياة الكريمة، ولذا فان الظلم السياسي من اكبر الجرائم والأخطـاء التـي ترتكـب في حـق الإنسـان والمجتمعـات، حيث يكـرس فـي المجتمع الحرمان والاستضعاف والانحـراف. وفي ظل ذلك تغيب معالم الحياة الإنسـانية، وان الوقوف في وجه هذا الظلم من اكبر الجهاد في الإسـلام كما ورد في الحديث المشهور «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٣]، لأنه يمنح للإنسان والمجتمع الحياة وحقوقه المسلوبة، وهنا تأتـي قيمة تلك الدماء الطاهرة التي تحدت سيف الظلم وإرهاب الدولة.

فالتأكيـد على قيمة تلك الدماء هي تأكيد على تلك الرسـالة الحضارية، ومأسـاة كربلاء ما هي إلا حلقة في تاريخ الأمة ونضال

---

(١) الحديد ٢٥.

(٢) قيل إنه لسان الحال (أعيان الشيعة للعاملي ج١ ص٥٨١.

(٣) راجع (الجواهر الحسان للثعالبي ج ١ ص ٤٨٠.

الشعوب المغلوبة، وإذا هذه المأساة قد تميزت وانفردت عن غيرها فلأنه وجدت في تلك الظروف الخانقة للناس والمغيبة للدين والمانعة لدور الإصلاح والتغيير، فلولا هذه التضحيات لاختفت كل الإرادات والبواعث على النهوض والحركة، وهو إشارة على خطورة الوضع وصعوبة المهمة، حيث كان الدين في خطر والإنسان في دمار، والأمة في انحطاط وانحدار، وقد عبر الإمام الحسين في كثير من أقوالة عن حقيقة الواقع يقول سلام الله عليه «إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني»[١] ويقول بخصوص تلك السياسة الظالم وهو يحرض الناس على القيام بواجبهم «من رأى منكم سلطانا جائرا ناكثا لعهد الله ومخالفا لسنة رسوله ويعمل في الناس بالإثم والعدوان فلم يغير لا بقول ولا فعل كان حقا على الله أن يدخله مدخله»[٢].

إذا إن قيمة هذه التضحيات والدماء والاهتمام بها إنما تأكيد على قيم الرحمة والسلام، وليس على إراقة الدماء أو اجترار المأساة، كما يصورها البعض بأنها دعوة للقتال، وتقديم صورة للعالم على دموية الإسلام، وانه يمثل صبغة الدماء!

كما أن التشهير والتنديد بتلك السياسات الظالمة التي تسببت في إراقة تلك الدماء يكشف للعالم تلك الصور المزيفة

(١) إحدى خطبه ٢) - الفتوح ٥: ٨٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٣، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٨، العوالم ١٧: ٢٢٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٢.

التي تستغل أقنعة الدين ولباس الشرع وشعاراته، فالدين بريء من هذه الممارسـات والمواقف والمواجهات الظالمة، فكشـف هذه الأدوار القذرة لا يقل تأثيرا في توضيح الحقائق للعالم.

وإذا كان هناك استحقاق وتقدير لقيمة هـذه الدماء الطاهرة في حياتنا إنما يكون بترسيخ سياسـات العدل والاسـتقرار، وقيام الـدول على أسـاس هذا المبدأ وهو الشـيء الـذي يجنبنا تكرار ما حدث أو يمكن حدوثه.

٣- الإصلاح والتغيير من الداخل مهمة أساسية:

من الواضح أن الإمام الحسين لم يقم بهذه النهضة من مآمرة أو تأثير خارجي، أو تكون له علاقة ومشـروع مصلحي، وإنما هو أبن الواقع الذي يرى ويشـاهد ويعي ما يدور ويطبق من سياسـات ومؤامـرات، فالواقـع الفاسـد والأوضـاع المتردية وتفشـي الظلم كافيا للتصـدي والخروج وحمل المسـؤولية، فليس دائما بواعث الإصلاح والتصدي مشوهة أو بادرة على المشاكل وروح العصيان والتمرد كما هو المصطلح المعروف، كلا بل إن رسـالة الإصلاح هـي ضروريـة ليـس فقط علـى المسـتوى السياسـي، وإنمـا أيضا لمحاربة الجمود والانكفاف والاسترسـال والتمادي في الأخطاء والانحرافات. لكن دائما السياسـات الظالمة تحاول تشويه صورة مسـاعي وبوادر الإصـلاح والنيل من رمـوزه وقياداتـه خوفا على المصالح الشخصية واستمرار الروح السيادية والمطامع التوسعية،

فمن الطبيعي خشيتها الكاملة من التأثير أو محاولة التغيير. وكان من الأجدر هو تبني هذا المساعي والإصلاحات الداخلية لأنها تعبير حي وصرخة من أجل التغيير وتحقيق المطالب المشروعة على كل الصعد، وليس مواجهتا بالقمع والالتفاف والتسويف، أو اتهامها بالمؤامرة الخارجية! والمقصود هو إيقاع الهزيمة النفسية وقتل العزيمة في نفوس وفكر أصحاب رايات الإصلاح، بتشويه صورتهم عند الناس والمجتمع، إن هذا المنطق والموقف المتصلب دائما والمخون للآخرين دائما هو سبب المشاكل وكذلك هو المبرر لتدخل الخارجي، والنفوذ ألمصلحي أو المؤامرات التي تحاول أن تملأ إرادتها وتحكم سياساتها وتمرر مشاريعها المصلحية في داخل هذه البلدان. ولقد أشار القرآن إلى هذا الموقف السلبي والمكابر والمتعجرف واللامسؤول في تحريف الحقيقة أمام الجماهير والأمة على لسان فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[1]، نعم انه منطق الجبابرة والظلمة والاستبداديين على مر التاريخ. بالاتهام فهل نعي هذه الحقيقة؟

إن على الأمة والحكومات اليوم: أن تستفيد من تاريخها، وان تستعيد عافيتها بالاهتمام بقضايا الإصلاح والتغيير دائما وليس الصدود دائما لأن ذلك من شانه خلق إجواء من العنف والعنف المضاد والإرهاب وكذلك من تكريس الواقع المتخلف

(١) غافر٢٦

والصراعات والاختلافات وكل ذلك سبب كافي لاستنزاف الطاقات وإضعاف القوة وقتل الروح الإيجابية والتطلعات. إن مأساة كربلاء ما كانت تقع لو كان هناك منطق عادل وصوت حر وشعور بالمسؤولية في تبني وجهات النظر واحترام المطالب والحقوق المشروعة، وبدل الإنصات لذلك تعرض الحسين وأهل بيته وأصحابه إلى الإرهاب وشهر السلاح والقتل والإهانات والتضييفات والسبي للنساء والأطفال وحرمانهم حتى الماء، فهل هذا مقبول ومبرر في العلاقة مع الإصلاحيين أو الغيورين على الدين والمصالح الحيوية للمجتمع؟

لكنه المنطق الفرعوني نفسه الذي واجه به موسى حينما أراد أن يحرر بني إسرائيل من قيود العبودية حيث قال: **﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾**[١].

نعم إنها رسالة السلام، لكن الطغاة لا يعرفون معنى وحقيقة السلام إلا حسب رؤيتهم ومنطقهم ومصالحهم حسب منطق فرعون نفسه **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**[٢]، ويعتبر أن كل ما تحت مملكته هو ملك له خاص وليس لأحد أن يعارض أو ينتقد حيث قال: **﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**

---

(١) طه ٤٧.

(٢) غافر.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

ونتيجة لذلك نجد أن هذه السياسات الاستبدادية والظالمة هي العقبة الكؤود والسدود المانعة في وجه رياح الإصلاح والتغيير، وبسبب (إرهاب الدولة) لمواطنيها تتحول أيضا هذه الدول إلى (دولة الإرهاب) أي تصدر الإرهاب في العالم، ولذلك ليس من الصحيح اتهام الناس والمجتمع بالتقصير والتخلف وعدم التأهيل في حمل رسالة النهوض والبناء، أو تحميل الناس أخطاء السياسات المنحرفة، ومسؤوليتهم أمام الأزمات المختلفة. فهذا ظلم آخر وضياع للحقيقة.

نقول: آن الأوان أن تستعبر التاريخ ونستفيد من الدروس، وان النهضة الحسينية ما هي إلا إشراق ومشعل نبدد به ظلام التخلف وحقب الاستبداد ونتنفس الحرية ونسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية والحضارة الإنسانية، ونجنب أنفسنا ويلات الظلم والعنف والصراعات والاختلافات التي تسلب منا الاستقرار والسلام.

٤- النهضة الحسينية وبشائر الخير والسلام:

إن نهضة الإمام الحسين أعطت للأمة روحا واضاءات في فهم الإسلام فهما عميقا وأصيلا، ولولا ذلك لكانت النظرة سطحية وضبابية للأمور، وهذا هو الفارق الذي يميز بين مدرسة

(١) الزخرف ٥١.

وخط أهل البيت وغيرها مـن المدارس الدينية والفكرية والعقدية والاجتماعية وغيرها عبر التاريخ والحاضر.

فالنهضـة هي شـاملة وهي بحـق ذخيرة حية فـي كل الأبعاد والجوانـب ومن الصعب تحديد معطياتها وتأثيراتها، فهي انقلاب كامـل على التخلف والرجعية والفسـاد، فالقدرة على دراسـة هذا الواقعـة بشـكل عـادل ومنصـف وموضوعيـة يعتبر خطـوة جبارة وبناءة، وللأسف نجد الكثير من الدراسات المختلفة التي تناولت هـذه النهضة وتعرضت إلى أهم المعطيات والدروس كانت بعيدة أحيانا عن الموضوعية والحيادية وأحيانا يشم من بعض الدراسات الـروح العصبيـة والطائفيـة، ولقد سـاهم ذلك في تشـويه الصورة وعدم ظهورها كما ينبغي والتقليل من تأثيراتها على مجمل الحياة والتاريخ والإنسـان. بينما نجد القلة الواعية التي استوعبت مغزى هذا الحدث، وكافحت من أجل توصيل الفكرة الحضارية للناس، فكانوا يرون في هذه النهضة مشـعلا للأرواح كلما ذب فيها اليأس من التغيير، وإضـاءة للمعالم كلما احتدمت الأفكار والصراعات، ووقودا في المسـيرة والحركـة نحو الأهـداف والتطلعات وهو ما يميز أتباع الحسين ويسيرون على نهجه عن غيرهم.

لكـن هـذه الجهـود الجبـارة للسـائرين على خط الحسـين لـم تكن فـي عالم النسـيان، بل أتـت بركاتها وثمارها فـي عصرنا الحاضـر، ومن خلال بشـائر الانتصارات هنا وهنـاك، والاهم هو ما نجده من سريان هذه الروح وانتشار الثقافة الحسينية على أوسع

نطـاق وحرص وتعطـش الملايين من الناس للتعرف على شـهادة الإمام وما قام به من ثورة اسـتمر صداها إلى يومنا الحاضر بالرغم مـا واجهته من عراقيل وتضليل وتشـويه، فـي المقابل نجد اختفاء صيـت الكثيـر من الثـورات والانقلابات حتى على مـدي القريب الحاضـر، فلأنها ثورة ربانية خالصة أرادها الله وبارك فيها. لتكون مدرسـة عبـر العصـور والأجيـال والى آخـر الزمان. كيـف تحقق السلام في العالم.

□ ملحق رقم (٢)

دليل السيرة والمصداقية في حياة أهل البيت

بالرغم من وجود تلك الأدلة الدامغة في الكتاب والسنة المطهرة والتي تثبت أهلية أهل البيت للتصدي لقيادة الأمة والسير بها نحو النجاة والنصر والكرامة، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لهذا الاستحقاق، فوجود المغرضين والمعارضين للحق والحقيقة دائما تسبب في إقصاء أهل البيت. لكن سيرة أهل البيت هو الدليل الآخر الذي لا يمكن تحريفه وتأويله والذي يكشف بصدق عن مستوى قدراتهم وطهارتهم وعصمتهم، وانه مهما قيل عنهم من كذب وافتراء وانتقاص فهو لا يمكن أن يحجب الحقيق الناصعة بأنهم الأجدر في تولي زمام الأمور والقيادة للأمة والبشرية، فكما انه لا يمكن حجب تلك الأدلة من القرآن والسنة المطهرة التي جاءت في حقهم إلا لمن حجب عينه عن النور واستحب العمى على الهدى، كذلك إن المتمعن في سيرتهم وأخلاقهم ومواقفهم يكتشف سر وجودهم ودورهم وأنهم يمثلون الامتداد الطبيعي

للرسالات السماوية والرسـالة الخاتمة بالخصوص بعد الرسول. وللدلالـة على مصداقية هذه السـيرة العطرة نشـير إلى أهم الإبعاد والمحـاور فـي حياتهـم ونقتطـف بعـض الزهـور ونلتمس بعض الضياء لأن حياتهم كلها نور وضياء.

أولا: السيرة الذاتية

تعتبر السـيرة الذاتية لكل إنسـان كفرد وجماعة من العوامل المؤثـرة في الشـخصية الإنسـان والاسـتقامة، والمقصود دراسـة كل العوامـل التـي تأثر على الإنسـان بشـكل مباشـر وغير مباشـر مثل الأسـرة والولادة والتربية والمحيـط والظروف المختلفة التي أحاطت بالإنسـان منذ ولادته ونشـأته حتى أصبح مسـئولاً عن ما يتخذه من مواقف وقرارات في الحياة وتقرير المصير.

وإذا تأملنـا نجد أن أهل البيت يتميزون عن سـائر الناس في كل شـيء بدءاً من ولادتهم إلى بقية حياتهم. كما نجد أن الشـجرة التـي ينحدرون منهـا من خلال الأصلاب شـجرة مباركة وطيبة لا تتأثـر بالعوامل الطبيعيـة التي يتأثر بها الناس، ممـا يعني إن العناية الربانيـة تتدخـل في تركيبتهم وحياتهم وسـيرتهم بشـكل مباشـر، وهذا لا يتعارض مع كونهم ذات طبيعة بشرية أمام الناس، كما كان الرسـول ﷺ، ولذلك نجدهم يتكلمون وهم في بطون أمهاتهم وتجـري في ولادتهم الكثيـر من المعاجز الغيبية كانشـقاق الكعبة فـي ولادة الإمام علـي كمثال. وحضـور الملائكـة وجبرائيل كما

وردت في الأحاديث الصحيحة. والجدير بالذكر إن بعض هذه المعاجز حصلت قبل ظهور الإسلام. كما كان للرسول وللإمام علي. كما ينقل التاريخ عن بركة الرسول وكيف إن قريشا حينما أصابها القحط وعدم نزول الغيث جاءت إلى جده عبد المطلب وأخرى كذلك إلى عمه أبي طالب فما كان منهما إلا أن استغاثوا بالرسول[١] أما عن سيرة جدهم وآبائهم فكما ينقل التاريخ أنهم كانوا متميزين عن قومهم في كل شيء «فلقد كانوا (قبل الإسلام) على الحنيفية البيضاء وكانوا يلتزمون بمكارم الأخلاق والعادات الحسنة يدعون إليها ولم يرتكبوا المحرمات والمحظورات فكانوا يحرمون الزواج من المحرمات وينهون عن شرب الخمر... ولم يتأثروا بما كان عليه القوم والعرب في الجاهلية من عبادة الأصنام وإباحة الزنا وارتكاب المنكرات وشرب الخمور والتي لا يتخلف احد عن هذه الأمور وارتكابها»[٢] وبالرغم ما قيل في حق أبي طالب عم الرسول ﷺ ووالد الإمام علي عليه السلام لم يذكروه في شيء من ذلك إلا انه مات كافرا ومشركاً، وهذا زعم وافتراءk فما سيرته ومواقفه من الرسول ﷺ والرسالة والأحاديث الصحيحة عن الرسول في حقه تكفينا من الرد والجدل[٣] وفي هذا الصدد هو موقف أبي طالب من ابنه الإمام علي حيث دعاه إلى الإيمان

---

(١) سيرة الرسول وخلفاؤه علي فضل الله الحسيني.

(٢) نفس المصدر.

(٣) لو وضع إيمان أبي طالب في ميزان وإيمان الثقلين في ميزان آخر لرجحت كفة إيمان أبي طالب.

والاتِّباع للرسـول والصلاة خلفه وكان صغيـرا ومعه أخوه جعفر، فكيف ينسـجم هذا مع المدعى، ولقد ثبت عند الجميع بان الإمام علـي لم يسـجد لصنم قط حتى اشـتهر عند أهل الخـلاف بقولهم «كـرم اللـه وجهـه» كناية عن ذلـك. فهم أي أهـل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لى خلاف بقية الناس.

إذا هذه السـيرة العطرة تبعـث على الإيمـان بأنهم متميزون وغيـر عاديـيـن كبقيـة الناس وأنهـم لم يتلوثـوا بأي ذرة مـن أفعال وأخلاق الجاهلية ولـم يتدنسوا بأجناسها، أما سيرتهم بعد الإسلام فقـد نالوا بشـرفه الخصـال الحميدة التـي لا يضاهيها أحـد، فلقد تولى الرسـول تربيتهم، وبذلك فهم يجسدون خلق النبي وطهارته ونزاهتـه الـذي قـال فيـه تعالـى: ﴿وَإِنَّـكَ لَعَلَى خُلُـقٍ عَظِيـمٍ﴾[1] والرسـول يقول «أدبني ربي فأحسـن تأديبي». وفي ذلك نزل فيهم القرآن تبيان للناس وكشف عن هذه المكانة المنزلة مما لا يعتريها ادني شـك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

ثانيا: الأخلاق والمسؤولية

فبالرغم من الإقصاء إلا أن أهل البيت لم يتأثروا ولم ينعزلوا ويتخلـوا عن مسـؤوليتهم الدينية والاجتماعيـة والأخلاقية فكانوا

(١) سورة القلم آية ٤.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣.

على مستوى المكانة التي حباهم بها الله سبحانه، ونجد هذه الحقيقة من خلال حرصهم وتأكيدهم على أهم الأمور والجوانب وهي:

١- الحفاظ على مفاهيم وتعاليم الدين والإسلام.
٢- الحفاظ على وحدة الأمة وكيانها ومصلحة المسلمين.

ويرسم هذان البعدان الأطر العامة لحركة الأئمة جميعا وسلوكهم في كل العصور التي مروا بها، والظروف التي واجهوها، بينما نجد المخالفين لهم عكس ذلك وكيف حرصهم على المناصب وتحقيق الأطماع وبث الفتن والتفرقة والنزاعات والتي أنهكت الأمة الإسلامية وعملت على إضعافها واستهلكت قواها، وما زال المسلمون والى اليوم يعيشون تأثير تلك الحقب والضلالات والانحراف. والشواهد كثيرة لا حصر لها، فنجد الإمام علي حينما نحي من الخلافة الشرعية لم يثأر لنفسه وإلى حقه فهل كان ضعيفا أم غير قادر؟ بالطبع كلا وهو المعروف عند الجميع بشجاعته وهو الذي يقول «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها»[1]، إذا ما هي أسباب هذا الموقف؟

إنها المبادئ والحفاظ على مصلحة المسلمين من الفتن والحروب يقول الإمام عن ذلك «ووالله لأسالمن ما سلمت

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٤٥ خطابه إلى عثمان أبن حنيف.

أمـور المسـلمين ولو لم يكـن فيها جـور إلا علي خاصة التماسـا لأجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافسـتموه من زخرفه وزبرجه»[1]، إنـه الشـعور بالمسـؤولية والإحسـاس بالمخاطـر، فـكان الإمـام بالمرصـاد للوقوف أمام هذه الفتن ويسـعى دائما لتفويت الفرصة على الاسـتغلاليين والانتهازيين، فما كان يدخل حربا وصراعا إلا إذا اضطـر إليها وضمن إيطـار تلك الأبعاد، مثل حربـه مع معاوية فـي «صفين» وحرب «الجمل» مع عائشـة والزبير وطلحة، وحربه مع الخوارج الذين انشـقوا عنه بسـبب الفتنـة والخديعة في معركة صفين، بعد رفع المصاحف في واقعة عرفت بالنهروان، ومع ذلك نجد الإمام فـي خضم هذه المعارك لم يتخل عن مبادئه الأخلاقية فـي التعامل مع الآخـر المخالف، بعد أن انتصـر عليهم، فلم يكن يشـهر سلاح الانتقام والتشفي وينطلق من ردات الفعل ليكيل لهم الصاع بصاعين، ومثال ما حدث في معركة صفين بعد أن منع جيش الإمـام من الماء أثنـاء المعركة وبعد أن انتصر علـى جيش معاوية وحسـم المعركـة وإذا بالإمـام يقدم لهـم الماء مما اعتـرض عليه البعض من جيشه فقال ذلك خلقهم وهذا خلقنا وانشد يقول:

ملكنا فـصـار الـعـفـو مـنـا سجية
ولـمـا ملكتم سـال بـالـدم ابطح
وطـالـمـا حللتم قـتـل الأسـارى
وكنا عـن الأسـارى نعفو ونصفح

---

(١) نفس المصدر خطبة رقم ٧٤ «لما عزموا على بيعة عثمان.

فحسبنا هذا التفاوت
بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

إنها سياسة العدل والأخلاق، التي لا تتأثر بكل العوامل والظروف والمبررات، حتى قال لأصحابه في الرد عليهم حينما مارسوا عليه الضغوط، وعوتب على التسوية في العطاء قال «أتأمرونني أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه»، وقال «إن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»[1] وندد بتلك الأساليب اللا أخلاقية التي اشتهر بها الأعداء مثل معاوية الذي يعتبره البعض وللأسف قوة ودهاء وحنكة في السياسة، يقول الإمام علي في هذا الصدد بكل وضوح «والله ما معاوية بأدهى مني ولكن معاوية يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»[2].

إن سياسة المكر والغدر والعنف والقمع والإرهاب ضد الآخرين هي سياسات منحرفة تخالف قيم الدين والأخلاق وهي تنطلق من الشعور بالضعف والكراهية وكلها نابعة من الجهل لقيم الحياة السامية والبناء والتقدم. وأوضح صورة لهذه الروح التي حكم بها الإمام حينما تقلد منصب القيادة وأصبح حاكما حيث سعى لترسيخ سياسة العدل ومحاربة الظلم بكل صورة،

(١) نفس المصدر خطبة ٧٤ «لما عوتب على التسوية في العطاء».
(٢) نفس المصدر خطبة رقم ٢٠٠ «من كلام في معاوية».

فهـا هـو يوصي عامله على مصر مالك الأشتر رضـوان الله عليه يقول له: «أشـعر قلبك الرحمة للرعية ولا تكن عليهم سبعا ضاريا تغتنـم أكلهـم فان الناس صنفـان إما أخ لك في الديـن أو نظير لك فـي الخلق»[١]. ففي ظل سياسـة الإمام العادلـة تنعدم كل الفوارق والعنصريـات وسياسـات التمييـز، التـي تعمل علـى الهدم وخلق الصراعـات والمشـاكل، كمـا ليس هنـاك مبرر للخوف والشـعور بالضعـف وضياع الحقوق أمام قوة الآخرين وكثرتهم يقول الإمام «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»[٢] فأين نحن اليوم من هذه السياسات والأخلاقيات التي تتطلع إليها الشعوب والمجتمعات، في عصر يفتقد فيه العالم إلى ابسـط الحقـوق، وأين هي المنظمات والهيئـات العالمية التي ترفع شعار الأمن والاستقرار والتنمية والدفاع عن حقوق الإنسان. وأين هي حقوق الأقليات؟

وهكـذا لا يختلـف بقيـة الأئمـة الأطهار عن هـذا النهج في ترسـيخ المبـادئ والأخلاقيات في سـبيل مصلحة الأمـة والدين، وان المطلع على سـيرتهم ومواقفهم في شتى الظروف يجد حقيقة واحدة «إنهم يمثلون هدى القرآن ومبادئ الإسـلام وخلق الأنبياء العظام مهما اختلفت أدوارهم وأساليب مواقفهم».

إن انحـراف الأمـة عـن هـذا النهج السـوي هو الـذي مكن

(١) نفس الصدر خطبته لمالك الأشتر.

(٢) نفس المصدر خطبة ١٧ «لكلام يجري مجرى الخطبة».

الأعداء من هزيمتنا، وهو أيضا فتح المجال لتحكيم سياسات الظلم والجور من قبل الحكومات الفاسدة والجائرة التي بقيت جاثمة طوال قرون والى يوماً، ولا شك لقد استفادت هذه الحكومات من الإرث التاريخي لتلك الحكومات التي حكمت باسم وشعار الدين وإقصاء منهج الحق الذي تمثل في أهل البيت.

ثالثا: المرجعية الرسالية والتاريخية

مرجعية أهل البيت هي امتداد لمرجعية جدهم الرسول الأكرم ورسالته فهي رسالة للناس جميعاً، رسالة للخير والرحمة والسلام، ولقد جسدوا ذلك في حياتهم من خلال:

١ - السعي لهداية الناس وإصلاحهم.

٢- الوقوف بوجه الظلم والانحراف والزيف.

٣- عطاؤهم السخي ودعمهم للفقراء والمحتاجين.

فلأنهم متميزون عن الناس بما يمتلكونه من كمال وفضائل في كل الجوانب في العلم والحلم والكرم والشجاعة، كانوا منفتحين على كل الناس ولم يحجبهم الظلم الذي يمارس بحقهم، فسخروا علومهم ومعارفهم للناس ويجيبون على أسئلتهم في كل شؤون الحياة، فهم عيبة ومدرسة علم رسول الله، فلقد خلفوا تراثا في كل العلوم وأصبح مرجعيا ينتهل منه الناس بمختلف مشاربهم ومذاهبهم، ومما يذكر هنا من الشواهد البارزة هي مدرسة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، مما عرف عنهما في هذا المجال حيث

انتشـر في زمانهمـا العلوم المختلفـة[١] خصوصا في مجـال الفقه والتفسـير والعقائـد، بما لا يدعـوا مجالا للأخذ مـن غيرهم، فلم يتركـوا الناس في حيرة وضلال ولم يفسـحوا المجال في السـاحة لتلك الأفكار والمذاهب والتيارات التي انحرفت واتخذت طريقا معوجا، واسـتغلت، فلقد تصدوا لمواجهة الساحة بكل تحمل من أفـكار وتوجهات واختلافات وشـبهات واجتهـادات وتأويلات، وبالرغم من تلك الضغوط السياسية التي تسعى للنيل منهم والحط من قدرهم بشـتى السـبل، فكانوا يقيمون المجالس وحشد لها كل العلمـاء والمتحدثيـن من أهل الخلاف ومن كل التيارات لتشـويه صورتهم وإظهار عجزهم، لكن أهل البيت واجهوا هذا الأساليب بـكل ثقة وقـدرة فلم تكن إلا طريقـا في إثبات تميزهـم وأحقيتهم للمرجعية والقيادة فلم يكن احد يجرأ على مواجهتهم والرد عليهم لأنهم المصداق الحقيقي لأهل الذكر والراسـخين في العلم، وان ما عنـد غيرهم من العلوم والفضائل يرجـع لهم دون غيرهم، وقد شـهد لهم الجميـع حتى أعدائهم بهـذه المكانة، فصـار صيتهم لا يخفـى علـى أحد بالرغـم من حسـد الحاسـدين ومكـر الظالمين وزيـف أهـل الباطل. فكانـوا أهل البيت هم الأبرز فلم يكن شـيء

(١) كعلم الكيمياء والجبر والفلك، بالإضافة إلى مختلف التخصصات، فنجد في كل مجال وتخصص شخصيات معروفة ومشهورة، محمد بن مسلم في مجال الفقه، وهشام بن الحكم في مجال العقيدة والكلام، وجابر بن حيان في مجال الكيمياء، كما تخرج من هذه المدرسة أغلب المذاهب السنية المعروفة اليوم (الشافعي - الحنبلي - المالكي - الحنفي).

يشغلهم عن دورهم وتصديهم لكل ما تحتاجه الساحة، فروحهم الإيجابية ومرجعيتهم الرسالية كانت تحتضن الجميع، فلم يمنعهم حقهم وصوابهم من التعاطي مع الآخرين بما يحمله الآخر من أفكار وعقائد فاسدة، ومخالفة، ومضادة، فكانوا يتحاورون معهم ويردون على أسئلتهم وشبهاتهم بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك وهو أن يجيبوا على أهل الديانات بما يحتاجونه في أديانهم ويخبرونهم بما خفي عنهم. وذلك بما أطلعهم الله عليهم من علم وفضل وما وصل إليهم من رسول الله وجدهم أمير المؤمنين، وكانت هذه سمة بارزة في شخصيات أهل البيت جميعا ولم تعرف عند أحد من غيرهم. فكانت رعايتهم ومداراتهم للجميع فلم يتعصبوا على احد ولم يحقدوا أو يصادروا حق الآخرين بما يتبنونه من فكر وعقيدة ومذهب، بل كل ما يسعون إليه هو إيضاح لهم الحق وتمييزه عن الباطل وإظهار ما خفي عن الناس من حقيقة بسبب الجهل والضلال وانتشار البدع والضلالات والشبهات، والرد على المعاندين والجاحدين والمغرضين لكي لا ينالوا من مكانتهم وحقهم. ولذلك نجد الكثير من هؤلاء «أي أهل الخلاف» تخرجوا من مدرسة أهل البيت خصوصا مدرسة الإمام الصادق «حسب ما ينقله التاريخ فلقد تخرج على يديه أكثر من أربعة آلاف فقيه وعالم وكلهم يقولون حدثنا الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق»[1]، بما فيهم المذاهب السنية الأربعة المشهورة اليوم، بل

(١) أعلام الهداية ج١ «الإمام الصادق عليه السلام».

لم تكن صورة المذهب والفقه الجعفري «الاثني عشـري» يتجلى إلا بفضـل هـذا الانفتاح والاحتـكاك والغزارة مـن العلوم. فعرف المذهب باسـمه وقـال ما قاله جـده الإمام علي كلمته المشـهورة «سـلوني قبل أن تفقدوني»[١]. وهذه القمة في التألق تجسدت عند جميـع الأئمة صغـارا وكبارا فلم يكـن أحد قادرا علـى مجاراتهم كمـا نجد ذلك واضحا فـي حياة الإمام الجواد الـذي تبوء منصب الإمام وهو في سـن مبكر. كما أنهم يتحدثـون للناس بلغاتهم وما يحتاجونه من التفهيم.

الظلم السياسي:

ولذا كانت لهذه المرجعية الرسالية تداعياتها على المستوى السياسي، حيث كان وجودها يشكل عبئا وثقلا وخطرا في مواجهة الظلـم والانحراف بكل أشـكاله، فسـعت كل الحكومات الجائرة وفـي كل العصـور من أجل النيل منها، باسـتخدام كل الأسـاليب، بـدءا مـن محاولة عزلهـا عن الجماهير وتشـويه صورتهـا أو حتى اغتيالها مع الإمكان، وهذا هو ما كان يحدث للأئمة بدون استثناء. وقـد شـكل هذا الموقـف الرسـالي لمرجعية أهل البيـت إدانة من قبـل هذه الحكومات، لأنهم لم يداهنـوا ولم يبايعوا ولـم يخضعوا للإمـلاءات والإغـراءات كمـا كان غيرهـم، حتـى عرفـوا باسـم «الرافضـة» وهو اللقب الذي تكرس عنـد جماهير الأمة فيما بعد،

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٨٩ «من كلام في الإيمان والهجرة».

كموقف سلبي في رفض هذه السياسات الظالمة، التي تحكم في الناس بالجور وتستبيح المحرمات، وتنهب الثروات. فكان خط أهل البيت واضحاً، فما كان من الحكومات إلا السعي لإقصائهم أو التضييق عليهم وإرغامهم لقبول قراراتهم ليسهل مراقبتهم مثل ما حصل للإمام الرضا حيث اجبر على قبول منصب الولاية بعد أن هدد بالقتل أكثر من مرة، وكذلك نجد المطاردة والفتك بمن يواليهم ويتبنى مرجعيتهم ويسلك دربهم وبسبب ذلك والخوف أمروا الأئمة شيعتهم بمبدأ التقية واعتبروه أصلا في الدين «أي ملازما»، وهذه هي السياسة المتبعة «أي سياسة التنكيل والقتل والتشريد» والى يومنا هذا، ولذلك نجد هذه الحكومات واغلبها تستند إلى تلك المرجعيات الأخرى والمذاهب التي تكرس شرعنة هذه الحكومات وتبرر وجودها واستمرارها تحت أدلة واهية وقيم فاسدة ومفاهيم مغلوطة لا تنسجم مع المنطق ولا الدين ولا مصالح الناس في كل زمان ومكان.

قصة وعبرة ومثال يشهد على ذلك:

مما عرف في التاريخ أن الحاكم العباسي «أبو جعفر المنصور» كان يحاول احتواء الإمام الصادق وهو ما عرف من سياسة الخلافة العباسية اتجاه أهل البيت فقد كتب إليه «لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه الإمام: ليس لنا ما نخافك عليه ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنك بها، ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عنك؟ فكتب

إليه: تصحبنا لتنصحنـا. فأجابه الإمام: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومـن أراد الآخرة لا يصحبـك. قال المنصور: والله لقد ميز عندي منـازل النـاس، مـن يريد الدنيـا ممن يريـد الآخرة وانـه ممن يريد الآخرة لا الدنيا»[1].

الكرم والسخاء والجود

كمـا تميزت مرجعيـة أهل البيت بالسـخاء بلا حـدود، وان القصـص والشـواهد فـي سـيرة كل إمـام لا تخفى علـى أحد وان اشتهر بعضهم أكثر في هذا المجال. وهذا الانطباع يقدم وثيقة لما يتحلى به أهل البيت من فضائل وروح إنسانية عالية وإيمان صادق وقيم حضارية ونبل، وكان هذا الديدن خلقهم جميعا، فكان سـبباً مباشراً للتعريف بهم والاهتداء إلى مذهب الحق.

فشـعورهم بالمسـؤولية خصوصـا بالطبقـات السـفلى مـن المحتاجيـن مـن الفقـراء وذوي الحاجـات المختلفة شـكل عنصرا متميـزا وإيجابيـا، في الوقت الذي نـرى فيه هذه الطبقـات وفي ظل الحكومات الظالمة تعتبر هي الأغلبية الساحقة والبائسة والتي لا ينظر إليهـا باحترام وعطف ورحمة. وقد يكون هذا الحرمان سـببا للكثير من المشاكل والأزمات والانحراف التي تعاني منه المجتمعات.

إن هـذه المداراة من قبل مرجعية أهل البيت تريد أن تكرس قيم الحق والإيمان والعمل الصالح من خلال الممارسة والتطبيق

(١) أعلام الهداية ج١ «الإمام الصادق».

وعدم الاكتفاء بالشعارات وتقديم الأماني للناس بخداعهم والكذب عليهم، تحت ستار الأقنعة الدينية والسياسية.

من هنا حذر القرآن من هذه الروح السلبية والنفاق في الأمة والمجتمع واعتبرها سلوكا منافيا للدين والالتزام وتزكية النفس، خصوصا من يجعل نفسه إماما للناس ويتبوأ منصب القيادة في الأمة ويسعى للأدوار البارزة يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[١]، ويقول الإمام علي في نهج البلاغة «من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره»[٢].

إن هذا الاهتمام والمدارة لحياة المستضعفين والمحتاجين يبرز قيمة الإنسان وكرامته في ظل قيم الإسلام الصحيحة، وأولويتها في سلم الاهتمامات والأدوار، وبدون ذلك فلا قيمة وأهمية لشيء في هذه الحياة، ولا قيمة أيضا للمصالح الأخرى التي يمكن أن يحتج بها الآخرون وتحت مسميات وذرائع كثيرة وتنطوي تحت ألاعيب وخداع وهروب من المسؤولية، تسبب في تهميش الناس وتزيد في معاناتهم وآلامهم وظروفهم.

إن هذه الروح المعطاءة ترسم البلسم والشفاء للمحتاجين،

---

(١) سورة الماعون.

(٢) نهج البلاغة في باب الحكم رقم ٧٣.

وتلأم جروح الكرامة الإنسـانية، وتقربهم مـن نهج الحق والصلاح الـذي يبعث فيهم الأمل والحياة مـن جديد. والاقتباس والتطلع إلى مستقبل أفضل. ومن خلال هذه الروح اهتدى الكثير من الناس، بل تحـول البعض من المنكريـن والمخالفين لأهل البيـت إلى محبين وولائييـن[١] كمـا ينقـل أن شـاميا رأى الإمام الحسـن راكبا، فجعل يلعنـه، والحسـن لا يـرد عليـه فلما فـرغ أقبل الحسـن فسـلم عليه وضحك فقال أيها الشـيخ أضنك غريبا ولعلك شبهت فلو إستعتبتنا أعتبناك ولو سـألتنا أعطيناك.... فما أن سـمع الرجل كلامه بكى ثم قال أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنـت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي، والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله، «لأنه كان عطاءا لله سـبحانه خالصا أولا وزهدا في هذه الدنيا ثانيا، وثالثا إحساسا وشعورا بالإنسان بما هو إنسان له حق وكرامة مهما كان ومن يكون»، ولقد أثنى الله سـبحانه في كتابه علـى هذه الـروح والمرجعية التي لا مثيل لها لتكـون قدوة ومنهجا يحتذى به يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[٢].

رابعاً: مرجعية أهل البيت جهاد وتضحيات بلا حدود

التضحيـات في سـبيل الله وكرامـة الأمة والحريـة والدفاع عن المسـتضعفين والمحرومين سـمة بـارزة في حيـاة أهل البيت

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٤.

(٢) سورة الإنسان آية ٨.

لا يضاهيهم احد، فكانوا في مستوى القمة والمسؤولية، فهم لا يخافون في الله لومة لائم ولا يخشون أحداً، وهذا لا يخفى على الداني والقاصي، فأهل البيت مدرسة متكاملة في هذا الجانب في الصبر والصمود التحدي والإيثار والشجاعة بدءا من الرسول والإمام علي إلى بقية الله في الأرض الذي يملؤها عدلا وقسطا. ولا ينحصر أيضا ذلك في الأئمة المعصومين بل أيضا في ذرياتهم وأزواجهم وشيعتهم. ونستطيع أن نقول «لولا تضحياتهم بعد الرسول لما بقي للإسلام من باقية»، وهو ما يشير إليه الرسول في كثير من المناسبات والأقوال في حقهم خصوصا في الإمام علي والحسن والحسين[١]، وان كانت نهضة الإمام الحسين وما انطوت عليها من آلام ومآسي ومظلومية هي الأبرز، وقد صدق أخوه الإمام الحسن حينما قال له قبيل وفاته «لا يوم كيومك يا أبا عبدالله»[٢]، وهكذا نجد هذا النهج تكرس عند شيعتهم سواء في عصرهم أو بعده لأنهم كما اشرنا سابقا لا يقبلون ويرفضون حياة الذل والضيم والتبعية للسياسات الظالمة.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن هذه التضحيات إنما تصب في مصلحة الإسلام والمسلمين والحرية الإنسانية، فالأئمة يؤكدون من خلال مواقفهم وتضحياتهم على مبادئ لا يمكن الخروج عنها أو محاولة تجاوزها، أي أن المصلحة العامة للأمة هي التي

(١) قال الرسول الحسين مني وأنا من حسين، بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٥.
(٢) الأمالي للصدوق.

تقتضي اتخـاذ المواقف وتقديم التضحيات، مـن هنا نجد مواقفهم تختلـف باختـلاف المصالح والظـروف. فأحيانا يكـون الصلح هو المصلحـة والمطلـوب كما هو موقف الإمام علـي، وموقف الإمام الحسن بسبب ضعف الجيش الذي ينتمي إليه فما كان منه إلا تقديم المصلحة من الصلح بالشـروط المعروفة[1] وحفظ دماء المسلمين واتقاء الفتنة، بينما نجد كل الشروط الموضوعية لهذه المصلحة في خروج الإمام الحسـين، فهذا الاختلاف طبيعي باختلاف المصالح والظـروف، ولكن كما قيل الهدف والغاية واحدة، وهو حفظ الدين وكرامـة الأمة والدفـاع عن الحريـة والمحرومين، وهكذا نسـتطيع أن نفسـر كلام الرسـول الأعظم في حـق الإمامين بقوله: «الحســن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[2] فالإمام المعصوم لا يكون إلا على حـق. فأين هذا الحديـث والمواقف من أولئك الذين يشـككون أو يجهلون هذه المبادئ والسياسات في جهاد أهل البيت، وأين أولئك الذين يتخـذون من قتل الأبرياء وتكفير الناس وتحقيرهم وإشـعال الفتن والصراعات منطلقا باسـم الجهاد، وتحت شـعارات براقة في اسـتمالة القلوب وتهييج مشـاعر الناس، حيث لم يسلم منهم احد، حتى من أتباع مدارسهم ومذاهبهم، ونراهم يتشددون على المظاهر والشـكليات أكثر من اهتمامهم بالأساسـيات والمبادئ، كسكوتهم علـى ظلـم الحـكام وتبرير سياسـاتهم والعمـل فـي أجهزتهم ضد المسـلمين وضد من يخالف رأيهـم. ولذلك نجد أن هذه المدارس

(١) صلح الإمام الحسن «محمد مهدي شمس الدين».

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ص ٣١٥.

تعيش الفوضى في المواقف والآراء والفتاوى، لأنها تنطلق من الجهل والعصبيات والأطماع، فهي تدعي الحق المطلق لها وان غيرها على باطل، والأسوأ أن مرجعيات اغلب هذه المدارس التي تدعي الجهاد وحماية الأمة من الانحراف تخضع في إرادتها إلى الحكومات الظالمة التي تستغل مواقفها وآراءها.

إذا لا بد من التفريق بين دعوتين في الجهاد والتبليغ، بين من ينطلق من واقع المسؤولية والمصلحة وبين من ينطلق تحت تأثير وتبعية الآخرين والانفعالات والظنون والاجتهادات الباطلة والشخصية دون الاكتراث والنظر إلى العواقب والنتائج التي تتعلق بالدين ومصير الأمة والناس.

فنجد الأئمة في مواقفهم وجهادهم ودعوتهم لا يتأثرون بالضغوطات والعواطف والحماس حتى من قبل أصحابهم وأتباعهم مهما كلفهم ذلك وعلى حساب سمعتهم ومكانتهم، فهم ينظرون بعين الله ويتسلحون بالحكمة والشجاعة ويتحلون بالصبر وهذا ما يميزهم عن غيرهم. فحساباتهم ربانية فلا يعبئون بعد ذلك بشيء كما يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[1]، ويقول: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

(١) سورة الأحزاب آية ٣٩.
(٢) سورة المائدة آية ٥٤.

فليس كل من حمل راية الجهاد ورفع شعارات الدفاع عن الأمة صار مجاهدا «فليس المصلح كالمفسد» وقال الرسول: «من عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلح»[(١)] وكذلك هو الأحمق الذي لا يكترث للمصالح. ومن أجل ذلك نجد الإمام علي يؤكد على الصفات النفسية والجوهرية في المصلح والقائد فيقول: «إنما يقيم حكم الله سبحانه من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع...»[(٢)] والمصانعة تعني الاستسلام والتساهل والإمام علي لم يتساهل في تطبيق العدالة حتى مع الشخصيات التي تمتلك القدرة على التمرد وتأليب الناس كمعاوية.، ورد الأموال التي فرقت هنا وهناك من بيت مال المسلمين. والمضارعة تعني المشابهة، بأن يتأثر الإنسان من المحيط ويحمل أمراض المجتمع السلبية ويبتلى بالضعف، والمصلح والقائد لا بد أن يكون قدوة كما يقول الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي الناس وهو عليل

ولا يتبع المطامع يقول الإمام علي «الطمع رق مؤبد»[(٣)].

أخيرا إن هذه المحاور جديرة بالاهتمام من خلال دراسة تاريخ أهل البيت وسيرتهم، والوقوف على حقيقة ما جرى

---

(١) بحار الأنوار ج١ (ص) ٢٠٦.
(٢) كتاب الحركات الإسلامية في القرن العشرين «الشهيد المطهري».
(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ١٨٠.

ويجري في عصرنا والمستقبل، والخلوص إلى أهمية الرجوع إلى مدرسة أهل البيت لأنهم خير من مثل الإسلام وجسد تعاليمه في كل شؤون الحياة، فمن خلال هذه السيرة فضلا عن تلك الأدلة الأخرى نستطيع أن نسترجع هوية الأمة الحضارية في مختلف أدوارها وتحقيق تطلعاتها وأهدافها.

□ ملحق رقم (٣)

كيف نكافئ الرسول ﷺ؟ وندافع عن شخصيته؟

من اكبر الأحداث التي مرت على البشرية وفي حياة الأمة هو رحيل المنقذ والقائد والمصلح الرسول الأكرم ﷺ وكان لهذا الرحيل اثر كبير وعميق في نفوس المسلمين خصوصا أولئك الذين اتبعوه بإحسان وحملوا مشعل رايته وتنبوا مبادئه وساروا على نهجه وسعوا إلى ترسيخ أهدافه، لقد كان الرسول عظيما بعظم رسالته في كل أبعادها الإنسانية والإيمانية والأخلاقية والحضارية.

فلقد سخر الرسول ﷺ حياته للرسالة وكان رساليا في كل شيء، فإذا كان القرآن هو المعجزة الرسالية والربانية فكان الرسول ﷺ هو المعجزة البشرية فقد تمثل القرآن في شخص الرسول ﷺ فكان فتجلت عصمته فيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]، فأجمعت الأمة على زعامته وقيادته فكان العصمة والملاذ للجميع فلم يكن احد يتجرأ ويظهر خلاف ما يقوله ويأمر به ﷺ ولأن القرآن أمر بذلك فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢]، وقال: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[٣]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وبذلك كان الرسول ﷺ يمثل الدرع الحصين من كل فرقة وخلاف أو تمرد وعصيان، وفي جانب آخر أكد القرآن على حسن العلاقة مع الرسول ﷺ والتأدب معه أي عدم إيذاء الرسول مطلقا يقول: تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٥]، ومن يتعرض إلى ذلك فهو يستحق العذاب في الدنيا والآخرة ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦]، ﴿إِنَّ

---

(١) النجم: ٤.
(٢) الحشر: ٧.
(٣) النساء: ٨٠.
(٤) آل عمران: ٣١.
(٥) الحجرات: ٢.
(٦) التوبة: ٦١.

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخرةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[١].

وبذلك كانت مكانة الرسول ﷺ عظيمة في نفوس الأمة وتحظى بالتقدير والاحترام، كما كأنه سيرته وضاءة تبعث على الإيمان بكل ما جاء به، فكان صادقا مصدق، فهو الحريص على هداية الناس ويسعى لبناء كيانهم ووحدتهم وقوة شوكتهم أمام العالم والقوى التي تحيط بهم يقول تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، ويقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣]، وقد وصف الإمام علي عليه السلام بعثة الرسول للأمة مشيرا إلى دوره ورسالته في نهج البلاغة: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَم»[٤]، وفي الصحيفة السجادية للإمام السجاد عليه السلام و «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ

(١) الأحزاب: ٥٧.
(٢) التوبة: ١٢٨.
(٣) الأعراف: ١٥٧.
(٤) نهج البلاغة، خطبة رقم ٨٦.

الَّتِـي لَا تَعْجِـزُ عَنْ شَـيْءٍ وَإِنْ عَظُـمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَـيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ. فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ.

اللَّهُـمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِـكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّـكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامِ الرَّحْمَةِ، وَقَائِـدِ الْخَيْرِ، وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ. كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ وَكَاشَفَ فِـي الدُّعَاءِ إليك حَامَّتَهُ وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْـرَتَهُ وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِـكَ رَحِمَـهُ. وَأَقْصَـى الْأَدْنَيْنَ عَلَـى جُحُودِهِمْ وَقَـرَّبَ الْأَقْصَيْنَ عَلَى اسْـتِجَابَتِهِمْ لَكَ. وَوَالَى فِيـكَ الْأَبْعَدِينَ وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبِينَ وأَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إلى مِلَّتِكَ. وَشَغَلَهَا بِالنُّصْـحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِـكَ وَهَاجَرَ إلى بِلَادِ الْغُرْبَـةِ، وَمَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ، وَمَسْـقَطِ رَأْسِـهِ، وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ، إرادة مِنْـهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْـتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ. حَتَّى اسْـتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ وَاسْـتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّـرَ فِي أَوْلِيَائِكَ. فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْـتَفْتِحاً بِعَوْنِـكَ، وَمُتَقَوِّيـاً عَلَى ضَعْفِـهِ بِنَصْرِكَ فَغَزَاهُـمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِـمْ. وَهَجَـمَ عَلَيْهِـمْ فِي بُحْبُوحَـةِ قَرَارِهِـمْ حَتَّى ظَهَـرَ أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إلى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ حَتَّى لَا يُسَـاوَى فِـي مَنْزِلَةٍ، وَلَا يُكَافَـأَ فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيَـهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَـلٌ. وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْـنِ الشَّـفَاعَةِ أجل مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ، يَا وَافِيَ الْقَوْلِ، يَا

مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِلحسنات».

وقد حظيت شخصية الرسول ﷺ بالاحترام حتى مع الأعداء لما رأوا فيه من السمو والالتزام والمناقب والخلق العظيم فلم يعهد بأنه نقض عهدا وميثاقا ولم تكن من شيمته الغدر والخيانة وسوء الظن بأحد بل كان حريصا على أن يحافظ على مكانة الجميع واحترام الجميع وفق مبادئ الإسلام والعدل.

القيادة جوهر الدين والرسالة

والاهم قبل رحيله أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة فلم يترك الأمة في حيرة وضلال وهو الذي هداهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور وبعد أن أقام الدين على أسسه الصحيحة من أهمها هي مسألة القيادة في الأمة، ولولاها ما كان ينفع الأمة كثرة التعاليم ووجود حتى القرآن، والشاهد على ذلك ما حدث بعد رحيله وحينما تخلت الأمة عن إتباع القيادات الرسالية وعن إمامتها المنصوص عليها فأصبحت القيادة في الأمة ملك يتوارث وحينها أفل الإسلام الأصيل عن واقع الحياة. وهنا لنا أن نتصور كيف أن الرسول ﷺ مات ولم يعين تلك القيادة وإنما ترك الأمر للأمة أليس هذا من قبيل ترك السفينة في البحر بدون ركبان وقيادة فهل نتوقع لها النجاة؟ وما أشار إليه القرآن من التحذير الشديد للرسول إلا من باب عدم التعقل والمنطق والقبول في تصديق هذا الأمر وهو النبي المعصوم يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

إليـك مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّـمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَـالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّـاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١] فهذا التحذير يتناسب ومهمـة هـذا الـدور والقضية، كمـا إن تجاهـل هـذه القضية وهي مسـألة القيـادة تعتبر من اكبـر المخالفات لنهج الإسـلام وحكمته وأهدافه وهو يعد تكذيبا للدين والرسـول ﷺ وكفرا بما جاء به كما أشارت إليه الآية في ذيلها.

فكان الرسـول ﷺ هـو الأحرص على تحقيـق هذا الأمر مهما كلف الأمر ومهما اعترض من احد، وكانت مناسبة يوم غدير خم هو اليوم الذي شـيد فيه ركن الدين وأتمت فيه النعمة المباركة وأكمـل في الدين وذلـك بتنصيب الإمام علـي عليه السلام إماما وقائدا يقـول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِيناً﴾.

كيف نكافئ الرسول ﷺ على ذلك

لا أحد يشـك من المسلمين بان مهمة الرسول ﷺ كانت رسـالية خالصـة وان مـا قـام به إنمـا كان امتـدادا لكل الرسـالات والرسـل وهو الدعـوة إلى الله والدعـوة إلى عبادته يقـول تعالى: ﴿وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِـن قَبْلِكَ مِن رَّسُـولٍ إِلَّا نُوحِي إليه أَنَّـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢] وهذه الحقيقة تجلت لكل عاقل ومؤمن ومنصف لا

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

يكذبها إلا معاند ومكابر وجاهل وجاحد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(١) هذا الأمر يقتضي البحث والدقة في الأجر الذي ابتغاه الرسول ﷺ من الأمة كمكافأة لدوره ورسالته وحرصه لهداية الأمة وسعادتها. فما هو هذا الأجر؟

أولا- أهل البيت هم الامتداد للرسول والرسالة

لم يكن احد من الرسل يطلب أجرا على رسالته، فهذا مقتضى دورهم ونزاهتهم وإخلاصهم، وهذا ما يميزهم عن غيرهم، بالرغم من اتهام أقوامهم ومجتمعاتهم لهم، فنجد هذا الشعار يجري على ألسنتهم جميعا ﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٢)، ولقد تكرر هذا المعنى سبع مرات في القرآن وخمس مرات في سورة الشعراء بصيغة واحدة وهي ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣) أما الرسول محمد ﷺ قد اختلف مراده فقد طلب اجرا مختلفا حيث قال: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٤).

فهل الأمر والطلب للمودة لأهل البيت عليهم السلام مكافأة

(١) النحل: ٤٣.

(٢) هود: ٥١.

(٣) الشعراء: ١٨٠.

(٤) الشورى: ٢٣.

شـخصية أو منطلق عاطفي يجسد حقيقة القرابة والشعور الطبيعي لتأثير الوراثة؟

كلا لأنه خلاف ديدن الرسل جميعا، كما أسلفنا، ولكن هذه القرابة تمثل حقيقتين:

١ - القدسـية التـي أكد عليها القـرآن في آيـة التطهير، فأهل البيت هم أهل الطهارة والعصمة وان الإشارة إليهم بفرض المودة يجسـد حفظ هـذه المكانـة وصيانتها عـن الإسـاءة أو التقليل من شـأنها، وإن مودتهم هو الحسنة التي أشارت إليها الآية في الذيل، يقـول تعالـى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

٢- إن أهـل البيـت يمثلون الامتـداد الرسـالي، فمن خلال هـذه الطهارة (العصمة) أسـندت لهم مهام الرسـالة، فهم الضمانة والنجـاة من الانحراف والضـلال. ولقد أكد الرسـول ﷺ هذه الحقيقة كثيرا أمام المسلمين حيث قال: «اثنان ما أن تمسكتم بهما لـن تضلوا مـن بعدي أبدا كتـاب الله وعترتي أهل بيتـي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علـي الحوض يوم القيامة»[2] وقال: «إن مثل أهل بيتـي فيكم كمثل سـفينة نوح من ركبها فقد نجـا ومن تخلف عنها فقد غرق وهلك»[3].

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢)
(٣) بحار الأنوار، ج٢٣، ص١١٩.

ولأن الإسلام خاتم الرسالات فكانت الحكمة الربانية أن يكون هذا الامتداد أمر طبيعي وضرورة دينينة وحضارية لتجسيد قيم الإسلام وحقائق القرآن على مر التاريخ، من هنا لا يمكن الفصل بين المودة لأهل البيت وأتباعهم فهي حقيقة وواحدة تمثل الحب والولاء والطاعة للرسول والتقدير الحقيقي لأجر الرسالة.

ثانيا: تحقيق مصلحة الأمة:

من هنا إن مودة أهل البيت وطاعتهم هي في الحقيقة طاعة للرسول ولله سبحانه. وهو ما يضمن مصلحة الأمة ويحفظ مسيرتها وقد أكد القرآن على لسان نبيه حيث قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

ماذا خسر المسلمون بالتخلي عن أهل البيت عليهم السلام؟

هو افتقادهم إلى الفهم الصحيح للإسلام وابتعادهم عن النهج النبوي الذي ترسخ عبر مسيرته المباركة، فحل ما حل بالأمة من ضلال وتفرقة وصراعات أدت إلى التراجع والتخلف وسيادة القيم الجاهلية التي ترسخت عبر العصور والى عصرنا الحاضر، وافتقدت الأمة المعايير الصحيحة والقيم البناءة بسبب انتشار الأحاديث المكذوبة والتأويلات والتفاسير للقرآن وسنة المصطفى وتعاليم الإسلام.

---

(١) سبأ: ٤٧.

إن سر تأكيد القرآن على طاعة الرسول ﷺ وعدم عصيانه تقتضـي الالتـزام الكامـل بأقوالـه وأفعاله وسـنته ليسـت فقط في حياتـه وإنما حتى بعد مماته وفـي كل الأبعاد مهما خالفت أهواءنا ومصالحنا الذاتية، إن طاعة الرسول ﷺ تسمو بالإنسان المسلم والمؤمـن إلـى رحاب الإيمـان الصـادق والطاعة لله قـال تعالى: ﴿مَّـنْ يُطِعِ الرَّسُـولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّـهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظـاً﴾[١] وقد حذر الـق آن من الانقلاب على كل المكتسـبات التي حققها الرسول ﷺ من خلال العصيان لتعاليمه وتوجيهاته بعـد حياته يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُـولٌ قَـدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُـلُ أَفَإِن مَّـاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَـى أَعْقَابِكُمْ وَمَـن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٢].

ومن المفاهيم والمغالطات التي تسـود في الأمة هو التفريق بيـن حب أهـل البيت وعدم الالتـزام بخطهم، وكذلك مسـاواتهم بغيرهـم مـن الصحابـة بـل البعـض يذهـب إلـى أفضليـة صحابة الرسـول ﷺ مـن عترته، وهـذا تزييف إلى الحقيقـة القرآنية من جهة وتكذيب إلى أقوال الرسول ﷺ، وكذلك إلى الواقع الذي يشـهد لأهل البيت الأفضلية في كل شـيء. كما أن الحب والمودة ليسـت إلا الإتبـاع، وليسـت شـعارا أو قناعا، وهذه أيضا مشـكلة يقـع فيها حتى بعض محبي أهل البيت ويدينون بولائهم (الشـيعة)

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

فيكتفون بالحب والعاطفية لهم دون أن يأخذوا منهم التعاليم ويتأسون بسيرتهم ولكن هنا فرق بين من يكون جاهلا وغافلا عن حقيقة الولاء وبين من يكون عاصيا مكذبا وناصبيا وجاحدا لحقهم فهذا ظلم وكفر لما جاء به الرسول ﷺ، فهناك الإنسان الموالي سرعان ما يعود إلى هداه ورشده، لأن الحب والاعتراف بالأحقية سبب للانقياد والطاعة. بينما الجاحد يصر على عناده وكفره وعدائه لأهل بيت وأتباعهم.

السلف الصالح فكرة غير قابلة للتصديق ولا المنطق!

ومن الأفكار التي نشأت في الأمة بعد تغييب مكانة أهل البيت هو القول بتصويب النهج الآخر المخالف بترسيخ وتأصيل فكرة (صحة المنهج الواقعي) ومخالفة كل ما قاله الرسول ﷺ، ولا شك أن هذا النهج شكل أرضية الانحراف وإتاحة الفرصة لتطبيق سياسات هي أبعد ما تكون عن الإسلام ومبادئه. وبسبب ذلك نشأت الحروب والصراعات وظهرت مذاهب التفسيرات والتأويلات والطعن في مصداقية أهل البيت وتكذيبهم وسبهم على منابر المسلمين، وما مظلومية أهل البيت عليهم السلام لى مر التاريخ إلا نتيجة لهذا الإقصاء وما حدث لهم من قتل وتنكيل وتشريد تعبر عن مآسي وفواجع تستحق المساءلة والمراجعة عن طبيعة هذه العلاقة التي تخالف صريح القرآن وما نص عليه الرسول وما وصى به من خير ومودة للقرابة. فهل هذه مكافأة حسنة وحب لله وللرسول ﷺ أم انقلاب تام للحقائق. وما زال

الكثير من المسلمين اليوم وفي عصرنا الحاضر قد تأثروا بذلك النهج الاقصائي ولم يحاول أن يتعرف على طبيعة تلك الصراعات التاريخية، كما أن النهج الواقعي أصبح متر سخا عبر الحكومات والدول التي تمسك بزمام الأمور ولم تترك فرصة للأمة أن تتطلع إلى مرجعياتها وقياداتها التي تتمثل في أئمة أهل البيت عليهم السلام. وقد انعكست تلك السياسات الظالمة فكانت سبباً للجفاء والمقاطعة بل العداوة لأهل البيت عليهم السلام وكل من يتبعهم ويواليهم، فهل هذا الموقف يعبر عن مكافأة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأجر الذي يستحقه؟ أم أن ذلك يعتبر طعن في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإيذاء صريح ومخالفة تامة للكتاب والسنة؟

وما ذا يمكن أن نجيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو سألنا عن ذلك وما هو المبرر؟

ماذا تقولون لو قال الرسول لكم
ماذا فعلتم بعترتي وانتم اخر الأمم؟

ثالثا: أهل البيت والمضمون الحضاري:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1].

وبسبب هذا الجفاء والمقاطعة ضد أهل البيت عليهم السلام التي وجدت عبر التاريخ واستمرت إلى عصرنا الحاضر أصبح المسلمون

(١) الأحزاب: ٢١.

في غربة من دينهم ولم يهتدوا إلى حقيقة الإسلام وتعاليمه في كل الأبعاد وأهمها، فاغلب المسلمين اليوم يجهلون المبادئ والقيم الحضارية للإسلام ولا يعرفون إلا القشور والشعارات، وكما قال الإمام علي عليه السلام : «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُه»[1] وآخر «لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً»[2] من هنا نجد تلك العلاقة السطحية هي سمة لكثير من الشعوب الإسلامية، وان الدين الإسلامي هو مجرد طقوس وعبادات ليس له علاقة بالحياة ولا تدخل في السياسات، والأغرب نجد تلك الشكليات والمفاهيم عن الإسلام التي تبرز للعلن والظاهر من خلال المناهج الأخرى والتي تصور الإسلام للعالم بأنه دين الحروب والصراعات والإرهاب والتشدد والتكفير، كل ذلك نتائج سلبية وخاطئة لتفسير الإسلام، وابتعاد عن النهج النبوي الأصيل، وافتقاد للرؤية الحضارية للدين، وهذا ثمن غالي تستحقه الأمة بسبب ضلالها، وما زالت الأمة اليوم تعاني الكثير من المشاكل والآلام بسبب السياسات الظالمة التي تحكمها والمذاهب الجائرة التي تتخذ موقفا معاديا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، لأنها هي التي تبرر مثل هذه السياسات وتكرس نهج الباطل وتضع العراقيل أمام الأمة وتحول بينها وبين تطلعاتها.

إن أهل البيت هم الأقدر والأجدر في فهم الإسلام لأنهم

---

(١) بحارالأنوار، ج٣٤، ص٣٢٠.

(٢) نهج البلاغة، ص١٥٦.

الأقرب للرسـول ﷺ وكذلك لطهارتهـم ونزاهتهم من كل زيغ وانحـراف كما أن سـيرتهم تمثل الاقتداء الصحيح بنهج الرسـول ﷺ والترجمان للقرآن، فهم الأسـوة بعد الرسول ﷺ وطريق للهدايـة وهم الأئمة الشـرعيون في قيادة الأمة نحـو البناء والتقدم والحضـارة. فـلا يمكننـا أن نفهم القـرآن والإسـلام إلا من خلال مدرسـة أهل البيت عليهم السلام . فما ينفعنا القرآن إذا لم نفهمه ولم نعي أهدافـه ولم تترسـخ مبادئه في حياتنا، إذا نحـن بحاجة إلى أولئك القـادة والنمـاذج التـي تمثـل الامتـداد الطبيعي لسـيرة المصطفى ﷺ وتتبنـى مبادئـه، وهـم أهـل البيـت عليهم السلام حتى نسـتطيع أن نحقق ما كان الرسول حققه وارده ترسيخه في حياة الأمة.

إن التأكيـد على مـودة القربى هو تأكيد علـى مواصلة طريق الرسـالة وتحقيق المضمون الرسـالي في حياة الأمة لأنهم يمثلون النهج الرباني الأصيل والمضمون الحضاري وان الذي يطلع على علومهم وتراثهم واقوالهم وسـيرتهم يكتشـف هـذه الحقيقة. وإن مواقـف أئمة أهل البيت من أجل الدفاع عن الإسـلام وهوية الأمة وفي شتى الظروف لهو خير دليل وبرهان.

الدفاع عن شخصية الرسول ﷺ

إن الهجوم على شـخصية الرسـول ﷺ ومـا تتعرض إليه من إهانات وتشـويهات من قبـل الأعداء قد تكـون نتيجة للتطبيق السـيئ للإسـلام والمواقـف المشـوهة والمعاديـة للمجتمعـات

والحضارات، وكذلك بسبب الضعف والتخلف والتقهقر في حياة الأمة. كما إن الأساليب التي تعبر عن الدفاع عن شخصيته تسيء إليه وتسيء للإسلام فهي لا تعبر عن أخلاقه وسيرته الوضاءة، وكان الأجدر هو تطبيق تلك المبادئ السمحاء التي جاء بها وأكد عليها، والتعاليم التي أراد ترسيخها في الأمة،

وإذا كان الأعداء يحاولون استفزازنا من خلال تلك الأساليب، فيجب علينا أن نحرص على العودة الحقيقية في تأكيد العلاقة مع الرسول ﷺ والحب إليه، ومن أمر بحبهم ومودتهم وموالاتهم وهم أهل البيت عليهم السلام، لأن إيذاءهم هو إيذاء للرسول ﷺ، أما أساليب الأعداء من السخرية والاستهزاء فلم تكن غريبة ولم تضر الرسول ﷺ بل واجهها بكل ثبات وحكمة ومبادئ، ولم تترك أثرا سلبيا عليه ولم ينطلق من ردات الفعل بل كان ترجمانا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾[1].

إنما ما يقوم به بعض المسلمين من المتشددين من قتل وإرهاب وتكفير لأتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في أرجاء العالم لا يقل فضاعة عن أساليب الأعداء بل هي أكثر ضررا وحماقة، وما تسعى إليه من تكريس الفتن والطائفية والهجوم على المقدسات الإسلامية هي من اكبر الجرائم التي ترتكب في حق الدين وفي حق الرسول ﷺ وفي حق الأمة.

---

(١) الفرقان: ٦٣.

وخلاصة إن الإسـاءة لأهل البيت هي إساءة للرسول ﷺ ومكافأة سـيئة، كما التخلي عن نهجهم وتهميش دورهم والتقليل مـن مكانتهـم يعـد انحرافـا للنهـج السـوي وكل ذلك يفقـد الأمة مقومات نهضتها وحضارتها وديمومة بقائها.

المحتوى